360

HARLEQUIN

روايات أحلام

سيّد قلبها

باربرة هاناي

www.elromancia.com
مرمورية

سيّد قلبها

كضوء البرق في ليلة مظلمة .. غمر هذا الشعور كاميلا عندما التقت جونو !
إنه مالك أراض أوسترالي . جعل سحره الفاتن نساء أوستراليا يحمن حوله كفراشات حول النور..
كاميلا صحفية جميلة . ناجحة وواثقة من نفسها ! فكيف يأسرها سحر هذا الرجل ! وهل يثبت الشعور الذي يجذبهما الواحد نحو الآخر دون هوادة أن الأضداد يمكن أن تلتقي !

www.elromancia.com

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 9953-15-273-X

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A parisian Proposition
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Barbara Hannay 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2005
ISBN 9953 - 15 - 273 - X

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - ستر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

باربرا هاناي

ولدت في سيدني ونشأت في «بربسبين». أمضت معظم أيام شبابها في شمال كوينزلند، حيث ربّت مع زوجها أولادهما الأربعة. كانت تستمتع بأوقات تمارس فيها رياضة التجديف وإقامة المخيمات في الغابات وتعشق أيضاً الحياة العصرية في المدينة والموسيقى الحالمة والرقصات الرائجة والأفلام السينمائية وتناول العشاء في المطاعم.

عملت باربرا كمدرّسة وأحبت الكتابة وهي الآن تحقق حلمها بتأليف الروايات العاطفية ونشرها.

١ ـ حديث المرأة

ـ جونو، ثمة امرأة تسأل عنك.

حوّل جوناثان ريفرز انتباهه عن قطيع العجول وألقى نظرة جانبية سريعة على الممر الموحل المؤدي إلى حظيرة الماشية المخصصة للبيع، فرأى في الطرف الآخر امرأة تقف عند الحد الفاصل بين الإسمنت والممشى الموحل، وترتدي بذلة رسمية فاتحة اللون وتنتعل حذاء عالي الكعبين. خنق رغبة جامحة كانت تحثه للشتم قائلاً: «لا تقل لي إنها صائدة أزواج أخرى!».

هزّ آندي بوين، وكيل أعماله، كتفيه وأقرّ: «أظن ذلك. لكنها مختلفة عن كل الأخريات. أنصحك بأن تراها يا صديقي».

صرف جونو بأسنانه وهزّ رأسه بعدم تصديق: «كنت آمل ألاّ أضطر لخوض هذه التجربة مجدداً».

ضحك آندي قائلاً: «على الأقل هذه أنيقة وأقرّ بأنها عنيدة مثلك. راقية، مثيرة وعنيدة للغاية. قد يكون هذا يوم سعدك».

ـ إذا كنت مفتوناً بها إلى هذه الدرجة، فاذهب واسألها عمّا تريد.

طرف آندي بعينيه: «لقد سألتها وأعرف تماماً ما تريده».

ثم رفع صوته ليغطي على الصوت في الإسطبل المجاور حيث يجري مزاد علني: «تريدك أنت».

مالت نظرات جونو جانباً مرة أخرى رغماً عنه لتسجّل مشهداً فيه

www.elromancia.com

الكثير من التباين: امرأة متكلفة في ثياب رسمية وسط قطعان من الماشية. كتلة من الشعر الداكن وعينان قاتمتان وسط وجه شاحب، ونحافة جسدية تقابلها قوة داخلية وفخر ظاهر.

- ليس لدي وقت.

- بل لديك وقت. لقد بعت معظم رؤوس الماشية التي تملكها. سأنتبه أنا لهذا القطيع المتبقي. أعرف السعر الذي تريده. هيا جونو. لا يمكنك أن تترك سيدة مثلها وسط هذا الوحل والقذارة.

كانت المرأة لا تزال تنظر إليه فعلم جونو أنها أدركت على الأرجح أن آندي بلّغه الرسالة.

أطلق تنهيدة ثقيلة قائلاً: «أظنني أصبحت خبيراً في صدّ النساء».

فخلال الأشهر الماضية، ضاق ذرعاً بالنساء اللواتي يطاردنه منذ أن ظهرت تلك القصة المجنونة في المجلة النسائية.

شقراوات وسمراوات وصهباوات ومن كل الألوان... مسنّات وشابات... قبيحات، وجميلات... طائشات، وحذرات ومهذبات ووقحات...

لقد صرفهنّ جميعاً...

وبينما هو يسير بخطوات واسعة ووجه عابس نحو تلك المتنافسة الأخيرة، غاصت جزمته في الوحل. فالمطر الذي هطل مؤخراً وآلاف رؤوس الماشية حوّلت الأرض القذرة إلى ما يشبه المستنقع.

كانت المرأة ترتدي بذلة صوفية تبنية اللون وجوارب فاتحة وحذاء عالي الكعبين وتنظر بحذر إلى ذلك الوحل النتن الرائحة بينما كانت تنتظره عند طرف الممشى.

استغرب جونو تصرّفه عندما خفف من سرعته وهو يقترب منها لئلا

يلوث ثيابها. ولكن هذا أقصى ما قدّمه من تنازل، حتى أنه رفض الابتسام: «هل تبحثين عني؟».

- نعم.

ابتسمت بحذر ومدّت يدها تصافحه. الشامة الداكنة الصغيرة التي تعلو شفتها العليا شتت انتباهه.

- كيف حالك سيد ريفرز؟ أدعى كاميلا دوفيرو.

كان شعرها الأجعد كستنائياً داكناً ولامعاً ولون عينيها وأهدابها أقرب إلى السواد منه إلى البني. أمّا أنفها وذقنها فيتّسمان بأناقة لا يمكن تحديدها. كاميلا دوفيرو... وبدا لجونو أن مظهرها يتلاءم تماماً مع اسمها الفرنسي.

مدّ يده بينما كانت هي منصرفة إلى تفحّصه بجرأة مزعجة ونظرات بعيدة عن الخجل، تحمل الكثير من الفضول.

تباً! حتى إن عطرها ينساب إليه متطفلاً، محرّكاً أحاسيسه لحظةً قبل أن تطغى عليه من جديد رائحة الوحل والماشية.

كانت يدها في يده ناعمة باردة، فانتزع جونو يده القاسية الغليظة وسارع إلى دسّها في جيب سرواله الخلفي، محاولاً أن يتجاهل صحة ما قاله آندي.

هذه المرأة مختلفة عن الأخريات...

تبدو أجنبية، ساحرة، متوسطية و... مثيرة جداً. لكنه أخطأ عندما سمح لنظرته أن تشتبك بنظراتها أكثر مما ينبغي. لقد حدّق إلى عينيها و...

وتباً! لم يختبر في حياته أمراً مماثلاً ولم يكن يوماً على هذا القدر من التأكد من أنه وهذه الغريبة يتشاركان شعوراً غريباً ورعشة داخلية

www.elromancia.com

عميقة.

وفجأة، عاد إلى دنيا الواقع. فقال بسرعة فائقة، مع أن كاميلا دوفيرو لم تعرب عن سبب وجودها ومع أنها بدت مختلفة، إلا أنه عرف أنها ستكون كالأخريات:

ـ اسمعي، لا يمكنني مساعدتك. لقد حصل خطأ وقد أساءت المجلة فهم كلامي. أنا لا أبحث عن امرأة أخرج بصحبتها ولا أبحث حتماً عن شابة أتزوجها. آسف لأنني خيبت أملك.

واستدار مستعداً للرحيل، فهتفت به: «لا، لا ترحل».

لكنه تابع سيره. سبق وفعل ذلك مرات ومرات وكان الأمر محرجاً دائماً.

أضافت بصوت مرتفع، لا بل مدوّي: «لا أنوي الخروج معك أو الزواج بك».

فاستدار ناحيتهما المزارعون المجتمعون على مقربة منهما وراحوا ينقّلون أنظارهم الذاهلة بين جونو وكاميلا ضاحكين كالمجانين. هتف أحدهم: «امرأة أخرى؟ كم أصبح عددهنّ يا جونو؟».

صرف جونو بأسنانه رافضاً أن يستدير إلى الوراء، وأكمل طريقه مسرعاً عبر الوحل.

صرخت مجدداً: «جونو! سيد ريفرز علينا أن نتكلم!».

كان في صوتها شيء من اليأس لكنه لم ينظر إلى الخلف. لم يعد هناك ما يقال. لقد قال ما عنده ولن يضيّع وقته بالتحدث إلى جميلة غريبة ويدع البلدة بأسرها تنصرف إلى الثرثرة والضحك الرخيص.

لم يحدث لها ذلك قط من قبل، ولا علاقة لذلك بلقائها جوناثان ريفرز شخصياً بعد أسابيع من المحاولات الفاشلة. حاجتها للكافيين

هي التي جعلتها ترتجف وتشعر بالتوتر وانعقاد اللسان وجفاف الحلق، وليس جونو.

نقص الكافيين بالإضافة إلى الوحل الزلق التن حالا دون لحاقها بمربّي الماشية العنيد ذاك وإجباره على الإصغاء إليها.

ولكن أي نوع من الصحفيات المتمرسات المخضرمات هي، إذا سمحت له بالفرار قبل أن تتسنى لها الفرصة لتشرح له أي شيء؟ أو حتى تسأل أي شيء!

ومع ذلك، وقفت كالمغفلة وراحت تنظر إليه يبتعد من دون أن يقدّم سبباً تافهاً واحداً يبرر عدم تعاونه في «مشروع العازبين».

كانت نظرته إليها... غريبة و...

هزّت رأسها ولسبب ما أحسّت بأن لقاءها بجونو أثّر فيها، لكن هذا التوتر سخيف إذ سبق ورأت صورته ولا بد أنها توقعت جاذبية عينيه وخطورة وسامته... وتلك الابتسامة!

تلك الابتسامة هي التي قررت مصير جونو ريفرز، أو بالأحرى تلك الابتسامة وتينك الكتفان العريضتان والتصاق بنطلونه الجينز بجسمه بشكل مثير.

بالنسبة لفريق عمل مجلة «حديث المرأة» كان اختيار جوناثان ريفرز ضمن «أكثر عازبي أستراليا وسامة» أمراً عديم الاحتراف. لقد قرروا أيضاً أن الصورة التي قدّمها ممتازة بحيث لم يكن من حاجة لإرسال مصوّر محترف.

كان ذلك الخطأ الأول الذي اقترفته مجلة «حديث المرأة». فلو أرسلوا أحدهم في البداية، لما واجهت كاميلا هذا الموقف المحرج اليوم.

والخطأ الثاني ارتكبته كاميلا، فحين تسلّمت مسؤولية «مشروع العازبين»، أخطأت في التمييز. فبعد اختيار مجموعة من العازبين المتطوعين من مختلف دروب الحياة، أخذت على عاتقها من اعتبرتهم حالات يصعب التعامل معها، كالمحامي من بيرث وصاحب شركة البناء في سيدني والمدير التنفيذي في ملبورن.

وتركت الآخرين لصحفيين أقل شأناً، ومن بينهم المرشد السياحي في تاسمانيا وصائد التماسيح في الشمال... ومربي الماشية في كوينز لاند.

ولم تكتشف إلا مؤخراً أن مربي الماشية لم يكن مشاركاً في اللعبة، فاضطرت لأن تسافر من سيدني إلى شمال كوينز لاند لتعرف حقيقة المشكلة. وبعد عدة محاولات فاشلة، عرفت أخيراً مكانه، لكنها بالكاد تمكنت من التلفّظ بثلاث كلمات معه، قبل أن يرحل.

لكن إذا ظن جونو ريفرز أنها استسلمت بعد هذا الحديث المختصر، فسوف يجد في انتظاره مفاجأة كبيرة، أو ربما ثلاث.

من واجبها أن تعلمه أنه لا يستطيع التراجع عن قصة العزوبية الآن، فهي لن تدعه يفسد مشروع مجلتها ولن تدعه حتماً يعرّض عملها للخطر.

لعله يرفض الإجابة على الاتصالات الهاتفية والرد على الرسائل والتلغرافات ولعله وضع أقفالاً على البوابة المؤدية إلى مزرعة الماشية التي يملكها والتي تحمل اسم «إيدنفايل» كما اكتشفت هذا الصباح، لكنها لن تتراجع. لقد زحفت عبر طرق ريفية موحلة وعانت سيارتها الصغيرة المستأجرة، لتجد بوابته الأمامية موصدة في وجهها. لكنها لم تدع الوحل والأقفال تثبط عزيمتها، كما أنها لم تفقد الأمل عندما تعقّبت أخاه «غيب» ورفض هذا الأخير أن يقلّها بالهليكوبتر إلى

«إيدنفايل». والآن وقد لحقت به إلى هذا المكان المخصص لبيع الماشية ورأت جوناثان ريفرز الساحر ذاك، فهي حتماً لن تدع بعض الطين والوحل يقف في وجهها! لا سيما إذا كان في سيارتها جزمة مطاطية ومعطف واقٍ.

عادت مسرعة إلى حيث ركنت سيارتها، فعاد مشهد الأحصنة والشاحنات المحمّلة بالماشية ليؤجج لديها شعوراً بالاستغراب والعزلة، شعوراً تملّكها منذ وصولها إلى «موليجيم».

كان ذلك غريباً. لطالما ظنت نفسها بارعة في التأقلم لكنها رحلتها الأولى إلى البراري، وهي لم تشعر يوماً بأنها غريبة إلى هذا الحد وما كانت لتختبر مثل هذا الشعور حتى في بلد غريب.

شعرت نسبياً بالراحة عندما انتعلت جزمتها المطاطية وارتدت المعطف الواقي من المطر، إذ أحسّت أنها لم تعد تلفت الأنظار كثيراً. فليختبىء جونو. سوف تعثر عليه!

راحت تبحث عنه في الممرات الضيقة الفاصلة بين حظائر الماشية. وكانت تلك الممرات تعجّ بمربي الماشية الذين بدوا متشابهين بقبعاتهم وسراويلهم المتماثلة.

وفجأة سمعت وقع حوافر مدوّي، ما أرغمها على الاستدارة فأخذ كل جسمها يترنّح خوفاً عندما رأت قطيعاً من الماشية يجري نحوها خلف رجل يمتطي حصاناً. النجدة! كانت الحيوانات كثيرة وضخمة وحوافرها الثقيلة قادرة على سحق كل من يقف في طريقها.

لم تر في حياتها بقرة خارج حظيرتها أو أبعد من سياجها وها هي الآن في مواجهة عشرات الأبقار التي تتجه ناحيتها مباشرة. بعضها يشخر، بعضها يخور وبعضها له قرون! هل سيكون لتلك الحيوانات متّسع من المكان لتمرّ؟

www.elromancia.com

يا إلهي! التصقت بقوة بالسياج الحديدي لأقرب حظيرة، ولكن مع ذلك كان أحد الثيران السوداء ينظر إليها بشراسة وهو يدنو منها. حبست أنفاسها واعتصرت عضلات معدتها، محاولة أن تحتل أقلّ مساحة ممكنة.

وشعرت بقلبها ينسحق. ماذا ستقول الفتيات في المكتب لو رأينها الآن؟ هذا يستحق طبعاً جائزة شجاعة، فهو يتعدى نداء الواجب بكثير.

«فتاة من المدينة يسحقها ثور ريفي ضخم».

«واجهت الصحفية كاميلا دوفيرو قطيعاً من الماشية في مولينجيم اليوم»... «كاميلا تلقى مصرعها أثناء ملاحقتها قصة مهمة لمجلة «حديث المرأة»...»

راحت تحارب خوفها باختلاق المزيد من ملاحم الشجاعة والبسالة، بحيث مرّ بعض الوقت قبل أن تستوعب أن الحيوانات مرت بقربها من دون أن تعيرها أدنى اهتمام.

حيّاها الرجل من على ظهر الحصان بإيماءة سريعة وهو يبتعد، موجّهاً قطيعه في اتجاه آخر.

انهارت كاميلا مستندة على سياج الحظيرة وقد انقطعت أنفاسها. إنها لا تزال حية تُرزق، ولم تُجفل الماشية. حتى أن راكب الحصان أومأ إليها بمودة وكأن لها الحق في أن تكون هناك.

لا بد أن الجزمة والمعطف فعلا فعلتهما، فبدت وكأنها فتاة ريفية تنتمي إلى هذا المكان فعلاً. وشعرت بالرضى البالغ عن نفسها.

أحسّت بوكزة في مرفقها فاستدارت لتجد نفسها في مواجهة ثور ضخم يتشمم كمّ قميصها. يا إلهي! كانت الحظيرة التي تستند إلى سياجها تعجّ بمجموعة أخرى من الماشية! كبحت شعورها بالهلع مجدداً. لا بأس فهذه الحيوانات موجودة بأمان داخل الحظيرة ولا

داعي للقلق.

انتظرت بضع دقائق ريثما تهدأ دقات قلبها وأنفاسها المتسارعة، وما لبثت أن لاحظت أن الحظيرة التي استندت إلى سياجها باتت محطّ اهتمام. فقد انضمّ إليها حوالى ستة رجال أو أكثر من مربّي الماشية وراحوا يراقبون الحيوانات من فوق السياج. لكن الرجال بالكاد نظروا إلى كاميلا. وهذا يؤكد أنها تبدو كفتاة ريفية، ما منحها مزيداً من الثقة. الآن تستطيع أن تتعقب جونو ريفرز.

ازدادت الجلبة من حولها وبدأ المزاد العلني على الماشية...

- ١٤٠، ١٤٠...

- ١٤٥..

لم تُعر ما يجري من حولها الكثير من الاهتمام، إذ راحت تتفحص المكان بدقة، علّها تجد أثراً لجونو. وخيّل إليها أنها رأته. هذه المرة، لن تدعه يفلت قبل أن تحصل على ما جاءت من أجله.

كان حشد الرجال حول الحظيرة يعيق الرؤية أمامها، ما اضطرها للصعود على أول حافة من السياج، لتتجلى الرؤيا أمامها. فظهر أمامها رجل يتجّه نحو الحشد بخطوات بطيئة وجرأة واضحة. نعم، إنه جونو.

قال المنادي: «١٥٥...»

لم يكن لديها فكرة عن كيفية الوصول إليه. ليتها تستطيع لفت انتباهه! وقفت على أطراف أصابعها وراحت تلوّح بيديها.

- ١٦٠.

كان نظر جونو شاخصاً خلفها، فلوّحت بيديها مجدداً.

- ١٦٠ مرة ثانية.

ألقت كاميلا نظرة سريعة ناحية الصوت الصادح لترى المنادي يشير

www.elromancia.com

إليها مباشرة، والرجال ينسحبون الواحد تلو الآخر.

انتابها شك فظيع. لا، لا يمكن أن يظن أنها...

ـ ١٦٠.

صرخ المنادي بذلك، محدّقاً ناحيتها: «١٦٠، لقد تم البيع».

وهمس صوت بجانبها: «مبروك».

استدارت لتجد الرجل المتورّد الخدّين الذي بحث لها عن جونو في وقت سابق:

ـ يا إلهي! تهنئني أنا؟

بادرها بابتسامة عريضة قائلاً: «أجل طبعاً، لقد اشتريت قطيعاً من العجول الممتازة».

ـ لا، لا يعقل. قل إنك لست جاداً.

أشار الرجل ناحية الحظيرة قائلاً: «هذا القطيع الرائع كله لك».

ـ ولكنني كنت ألوّح لجونو ريفرز. لم...

ونظرت بغضب إلى المنادي لكنه اكتفى بتحية الرجل الواقف إلى جانبها قبل أن يتوجه إلى قطيع آخر.

ـ لا يمكن لهذا أن يحصل. أنا لست شارية. كيف... كيف يمكنه أن يظن أنني أردت هذا القطيع؟

ـ كنتِ واقفة بجانبي.

ـ وما دخل هذا؟

ـ أنا وكيل خبير في تربية الماشية. ولا بد أن براين افترض أنك أحد زبائني.

وضعت يداً مرتجفة على جبينها: «يا إلهي! سوف تذهب وتقول له إن ثمة خطأ، أليس كذلك؟».

ـ ألا تريدين هذه العجول؟

ـ طبعاً لا أريدها. ماذا سأفعل بها؟ أنا أسكن في شقة صغيرة في كينغز كروس لا تتعدى مساحتها هذه الحظيرة.

وإذا بصوت عميق يقول من الخلف: «هل تضايقك هذه المرأة آندي؟».

استدارت كاميلا لتجد جونو ريفرز عابساً خلفها مباشرة. كانت نظرته المتشككة باردة بما يكفي لتجمّد محيطاً بأكمله، بل محيطين.

حيّاه آندي فرحاً: «جونو، أنت الرجل الذي نحتاجه».

لم تكن كاميلا واثقة من ذلك. فقد رأت ما يكفي من مشاكل حتى الآن بسبب مربي الماشية المزعج هذا وقطيعه التن. شدّت قبضتيها على جنبيها وشعرت برغبة جامحة في أن تضربه على وجهه.

شرح الوكيل بهدوء: «يبدو أن الشابة تواجه مشكلة صغيرة لكنني واثق من أنك تستطيع مساعدتها».

ثم ألقى نظرة خاطفة على ساعته: «آسف جونو. يجب أن أرى أحدهم. أوافيك لاحقاً».

وبتحية مختصرة أسرع مبتعداً.

كان رأس كاميلا يدور وهي تنظر إليه يغادر. وشعرت بقواها تنهار وهي تستدير مجدداً نحو جونو، لتقول له: «لديك الجرأة على الأقل لتظهر. كل هذا بسببك، لذا عليك أن تفعل شيئاً حيال ذلك».

www.elromancia.com

٢ ـ صفقة

استغرق جونو دهراً ليجيب.

وقف مباعداً ساقيه، شابكاً ذراعيه على صدره العريض، ينظر إلى كاميلا من دون أي لمحة تعاطف، قبل أن يقول أخيراً: «قبل أن تنجرفي كثيراً في اتهاماتك، هلاّ شرحت لي من فضلك ماذا يحصل؟».

ـ كنت ألوح لك و...

ومررت أصابعها المتوترة في خصلات شعرها الجعدة، منزعجة من موقفه المتبلّد.

ـ وماذا؟

ـ ويبدو أنني اشتريت هذه الأبقار.

ألقى نظرة سريعة على الحظيرة المجاورة قائلاً: «إنها عجول».

ـ أبقار، عجول، لا يهم. المهم أنها حيوانات تخور وأنا لا أريدها.

اشتدت عضلات فكّه وأشاح بنظره بعيداً ثم أطلق تنهيدة عميقة وهو يحدق إلى شيء ما في الأفق:

ـ كنت أعلم أنك ستسببين لي مشاكل أكثر من الأخريات.

ـ أستميحك عذراً؟

سلخ نظره عن الأفق البعيد لينظر إليها ببرودة: «هل ظننت أنني قد أجدك أكثر جاذبية إذا رشوتني ببعض العجول؟».

فغرت كاميلا فاها غير مصدقة: «تظنني اشتريت هذه كنوع من الرشوة... أو المهر؟ لكي أزداد جاذبية بنظرك؟».

لم يُجب ولكن إيماءة رأسه الخفيفة حملت رداً إيجابياً واضحاً. من أين يأتي هذا الرجل بكل هذا التعجرف؟

ـ أتظن حقاً أنني أغويك؟

هز كتفيه العريضتين قائلاً: «أنت تلاحقينني. أليس كذلك؟».

اضطرت لأن تخفي قبضتيها المشدودتين في جَيْبَي معطفها، لئلا تُقدم على أي حماقة. لكنه أضخم من أن تتمكن من ضربه.

ـ ما رأيك لو تنظف أذنيك جيداً وتصغي إلي؟

قالت له ذلك ببطء وصوت عالٍ فيه نبرة تهديد واضحة.

ـ جئت إلى هنا لأنك خالفت اتفاقك مع مجلة «حديث المرأة» وليس لدي أي اهتمام بالخروج معك.

وفتحت ذراعيها مشيرة إلى الوحل والماشية المحيطة بهما: «هل تظن حقاً أنني كنت لآتي إلى هنا وأغرق في الوحل والقذارة لو كان لديّ خيار آخر؟ هذا حتماً ليس أسلوبي في التسلية. أما بالنسبة إلى الرجال، فلديّ قدر ما أحتاج منهم. وآخر نوع... آخر رجل أبحث عنه هو راعي بقر!».

ولمزيد من الإيضاح، أضافت: «لست مهتمة إطلاقاً بالزواج من أيٍّ كان. وفي حال لم تطّلع على آخر الإحصاءات، فثمة جيل كامل من النساء مثيلاتي لسن مستعدات إطلاقاً للتضحية بأنفسهن على مذبح الزواج».

دهشته الواضحة جعلتها تشعر بشيء من الرضى. وللمرة الأولى، خُيّل إليها أنها رأت لمحة تسلية في عينيه البنيتين.

www.elromancia.com

- أظنني أصدقك.

- أخيراً والحمد لله!

ثم أومأت ناحية الماشية قائلة:

- عليك أن تفهم أيضاً أن شراء هذه المواشي كان صدفة حوّلت يومي المشؤوم إلى كارثة حقيقية.

لاح طيف ابتسامة على فمه وهو يسألها: «هل دفعت ثمنها غالياً؟».

- ليس لدي أدنى فكرة ولكن هذه ليست المشكلة.

- بل هي مشكلة، لا سيما إذا كنت لا تملكين ثمنها.

- ولكنني لا أريدها.

قالت ذلك عابسة في وجهه: «ليس لدي أدنى فكرة إن كان لدي ثمنها، كم تساوي؟».

هز كتفيه: «١٥ عجلاً، بوزن جيد... يعني أنها قد تساوي حوالى ستة آلاف دولار تقريباً».

- مستحيل!

وكبحت رغبتها في إطلاق شتيمة كادت تفلت منها: «إنني أدّخر المال لرحلة إلى باريس وهذا يساوي مدخراتي كلها تقريباً! لن أنفق كل ما جمعته على العجول».

كانت تدّخر مدخولها كله تقريباً في خلال الأشهر الإثني عشر الماضية، ولم تشترِ لنفسها قطعة ثياب طيلة تلك المدة. وها هي أحلامها تتهاوى وتتحطم أمام عينيها. كل أحلامها الجميلة... بالسفر لرؤية والدها مجدداً بعد ١٢ عاماً، وباكتشاف منحوتاتها المفضلة في متحف «رودان» والتنقل في المقاهي الصغيرة في شوارع «مون مارتر» أو شراء أغراض أنيقة من «الشانزليزيه»...

ومنذ بضع دقائق، تبددت هذه الأحلام كلها، ليحل مكانها كابوس فظيع هو عبارة عن قطيع من ١٥ عجلاً في براري كوينزلاند.

استدارت إلى جونو يائسة: «كيف أستطيع الخروج من هذا المأزق؟».

هز كتفيه قائلاً: «لست أدري».

- هل يمكنني رفع دعوى على أحد؟

- قد يرفع البائع دعوى عليك إن لم تدفعي له.

- تباً!

أغمضت كاميلا عينيها محاولة تهدئة هلعها المتعاظم. كانت بحاجة لأن تفكر بوضوح. لا بد أن هناك حلاً ما لهذا الوضع الجنوني..

- لا يمكنني التفكير في هذا من دون قهوة.

- هناك مطعم قريب.

فتحت عينيها ونظرت إليه قائلة: «جيد، دعني أحتسي القهوة إذاً».

عندما لم يُجب، أضافت: «مجرد قهوة، جونو، وليس موعداً أو عرض زواج. أريدك فقط أن تجلس إلى المائدة من جهة وأنا من الجهة الأخرى، سأشرب القهوة وأحصل منك على نصيحة».

نظر إليها حائراً للحظة أو اثنتين ثم أومأ: «المطعم من هنا».

قادها عبر الممرات الموحلة إلى أن وصلا حيث المكاتب الإدارية. وبعد أن نظفا حذائيهما على ممسحة قاسية، دفع جونو باباً زجاجياً عريضاً.

في الداخل، كان المطعم يعجّ بمربي الماشية وزوجاتهم ولكن الدفء والنظافة بديا واضحين فيما عبقت رائحة القهوة في الأرجاء.

لم يقبل جونو أن تدفع الحساب ولم يكن لديها مشكلة في تصرف

www.elromancia.com

الرجال الريفيين القديمي الطراز.

أمسكت فنجان القهوة الساخن بكلتا يديها وراحت تتنشق نكهة مشروبها المفضل قبل أن تأخذ منه رشفة سريعة مقوية وهما يتوجهان إلى طاولتهما بالقرب من النافذة. كان جونو قد اشترى أيضاً سندويشات من اللحم والسلطة.

عندما جلسا، سألها جونو: «إذاً تريدين التخلص من قطيعك؟».

أومأت كاميلا: «نعم، أرجوك».

ثم أخذت رشفة أخرى من القهوة قبل أن تضع فنجانها مكانه:

ـ لست مهتماً بشرائه. أليس كذلك؟.

التوى فمه بابتسامة مألوفة سبّبت الكثير من الإثارة في مكاتب «حديث المرأة» ولاحظت أن لون عينيه كان مزيجاً مذهلاً من البني والذهبي ونقاط خضراء.

ـ لا شكراً. جئت إلى هنا اليوم لأبيع، وليس لأشتري.

تنهدت بيأس: «هل يمكنني أن أطرحها للبيع في السوق غداً؟».

بهتت ابتسامته وقد بدا مفكراً:

ـ هذا ممكن... ولكن، لِمَ لا تخبرينني بسبب مجيئك من سيدني إلى هنا، مجتازة كل تلك المسافة؟

انقطعت أنفاس كاميلا لحظة في خضم دهشتها. لا تكره شيئاً لعله خيراً! فشراء العجول جعل جونو ريفرز يتكلم.

ـ أنا هنا لأكتشف أي لعبة تلعب.

ـ أنا لا ألعب أي لعبة.

ـ بل كنت تقوم ببعض الألاعيب مع مجلتنا. لم تُجب على أي من رسائلنا أو اتصالاتنا الهاتفية.

لم يُبدِ أي علامة اعتذار بل أجاب مستفهماً: «ولِمَ أتعاون مع صحافة غير مسؤولة تماماً؟».

ـ غير مسؤولة؟

ارتفع حاجبها دهشة، لكنها أرغمت نفسها على التزام الهدوء. الآن وقد تمكنت منه، فلن تدعه يهرب.

ـ لِمَ تقول هذا؟

ـ تتوقعين مني أن أُغذي أوهام مجموعة من النساء السخيفات الساذجات اللواتي يعتقدن أن العازبين يتحرقون للزواج والارتباط.

ـ لم نُعطِ يوماً الانطباع بأن العازبين الذين نتحدث عنهم يائسون. بحق الله جونو، جميعهم رائعو الجمال... مثلك.

بدا متزعجاً بوضوح.

ـ نحن اخترنا رجالاً وسيمين وناجحين، بقوا عازبين لسبب ما، سواء أكان بسبب بعدهم الجغرافي أو بسبب استغراقهم في أعمالهم الناجحة، لكنهم يبحثون عن زوجة.

وعندما لم يُجب، أضافت: «كانت ردة فعل القارئات مذهلة. لم يكن لدي فكرة أن هذا العدد من النساء يبحثن عن أزواج».

ـ على عكسك أنت. كيف يمكن لشخص لا يؤمن بالزواج أن يدّعي بأن هذا رائع؟

ـ كيف تعرف رأيي بالزواج؟

سألته كاميلا ذلك ثم استدركت قائلة: «قلت لك ذلك في الاسطبل، أليس كذلك؟».

شعرت بالإحراج حين أدركت أنها في خضم انفعالها عبّرت عن آرائها الشخصية في العلاقات أمام هذا الرجل. هذا الرجل المثير.

www.elromancia.com

قضمت من سندويشها ثم قالت: «لديك حساسية على الزواج، بقدري أنا».

ـ لم أقل إنني لا أريد الزواج.

رفع رأسه فكانت عيناه مزيجاً متراقصاً من التسلية وشيء آخر... شيء خاص وعميق.

ـ ولكن...

أجابها ببطء: «ليس لدي شيء ضد الزواج. لكن عندما أختار زوجة، فأودّ أن أكون من يلاحقها ويغازلها. لا شيء يثير اشمئزازي أكثر من المرأة التي تلاحقني بكل وقاحة».

عبست كاميلا: «حسناً، اشرح لي إذاً لما قبلت بحق السماء أن تشترك في مشروعنا».

قست ملامح وجهه وهو يجيبها: «لم أقبل».

ـ ولكن لديّ بياناً موقّعاً يثبت العكس.

التوى فمه واسودّت عيناه: «اسمعي، لا أريد الدخول في التفاصيل حول اللغط الذي حصل في مجلتكم».

ـ هل تقول لي إنك سُجّلت رغماً عنك؟

ـ نعم.

ـ إذاً من أرسل لنا صورتك؟ وتوقيعك؟

ـ قلت لك إنني لست مستعداً للكشف عن التفاصيل ولكن صدقيني، كانت تلك غلطة، غلطة كبرى.

تفاجأت كاميلا بالسرعة التي صدقته فيها، غير أن رغبتها في الحصول على مزيد من التفاصيل كانت قوية جداً. في الماضي، لم تكن تخجل يوماً من الوصول إلى عمق الموضوع وهي الآن تتوق لتعرف

كيف يمكن لرجل وسيم مثل جوناثان ريفرز أن يصل إلى مجلة حديث المرأة عن طريق الخطأ. مجلتها وقراؤها يستحقون معرفة ذلك.

لكن، حتى ولو كانت الأسئلة تعجّ في رأسها، شيء ما في وجهه منعها من التفوّه بها.

خبرتها الطويلة في إجراء المقابلات مع أشخاص من شتى المجالات، حدثتها بأن الباب لهذا الحديث قد أقفل تماماً.

كان مقفلاً بإحكام شأنه شأن باب مزرعته وأحسّت بأن التطفل سيكون عديم الجدوى وحتى خطراً. ليس من مصلحتها إطلاقاً الضغط عليه. لكن عملها مهدد إن لم تفعل ذلك. قالت له:

ـ لا أظن أن من الممكن أن تنسحب ببساطة. لا يمكننا أن نسحبك من المشروع الآن. فالقرّاء يتوقون لمعرفة ما سيجري في الأعداد المقبلة.

ـ يمكنك حتماً أن تتخلي عني. قد تدهسني حافلة. كل شيء ممكن.

ـ ولكنك أحد أكثر العازبين شعبية في مجلتنا.

في الواقع كان هو الأكثر شعبية، لكنها وجدت أن ما من داعٍ لتعزيز كبريائه أكثر مما ينبغي.

حدّق إليها قائلاً: «هذا مؤسف».

احتسى ما تبقى من قهوته، بينما راحت أفكار كاميلا تتسارع. لو تعلم فقط من قام بتسجيل جونو. هل هو ممازح؟ أم أنه أحد سكان البلدة الحاقدين؟ أو ربما حبيبة نبذها؟ أو حتى معجبة سرية؟

جاء صوته ليقطع أفكارها: «ما هو مركزك في «حديث المرأة»؟».

ـ أنا مساعدة تحرير والمسؤولة المباشرة عن «مشروع العازبين».

www.elromancia.com

لم يكن الوقت مناسباً لتضيف أن عليها أن تثبت جدارتها لرئيسة التحرير، إديث كينغ.

جلس جونو طويلاً من دون أن يتكلم ثم نظر مباشرة في عينيها:

ـ مساعدة تحرير؟.

أراح مرفقيه على الطاولة ومال نحوها وقد أشرق وجهه بابتسامة بطيئة: «إذا كنت تتمتعين بما يكفي من النفوذ كمساعدة تحرير، فأظن أن بإمكاننا أن نتفق، كاميلا دوفيرو».

النجدة! كانت ابتسامته مثيرة، ساحرة، بحيث اضطرت لأن تجاهد لتفكر بوضوح: «عفواً، لم أفهمك جيداً».

قال بنعومة: «أنا واثق من أنك فهمتني جيداً».

هل يغازلها؟ لا، طبعاً لا. كان دماغها قد تعطّل نتيجة تلك الابتسامة المثيرة وبدأت تفكر كأحد رؤوس الماشية عنده.

ـ كلانا في موقع ممتاز لمساعدة الآخر.

ـ حقاً؟

وأخفضت نظرها. سيكون من الأسهل أن تفكّر بعيداً عن تلك الابتسامة المشوّشة.

بعد لحظة من التحديق إلى بقايا طعامها، شعرت فجأة بغبائها، فرفعت نظرها قائلة: «نعم، طبعاً. أنت تقترح أن نسحب اشتراكك من مشروع المجلة، مقابل أن تساعدني في مشكلة الماشية».

ـ بالضبط.

واتجهت أفكارها إلى إديث رئيسة تحرير «حديث المرأة» التي سيجنّ جنونها لو عرفت أن جوناثان ريفرز سينسحب، ثم فكرت في باريس وفي رؤية والدها وعدم لمس مدّخراتها.

سألته وقد احمرّت وجنتاها لشدة الإثارة والانفعال: «كيف يمكنك أن تساعدني؟».

استقرت الابتسامة في عينيه: «إذا أخذت ماشيتك إلى مزرعتي في «إيدنفايل»، يمكنني أن أربيها في الأشهر القليلة المقبلة ومن ثم أبيعها عندما يصبح السعر جيداً ونتقاسم الأرباح».

الأرباح؟ آخر ما كانت تتوقعه هو الربح من اقتراحه.

ـ أتعني أن بإمكاني كسب بعض المال من أبقاري؟... أعني عجولي؟

ـ هذا ما نفعله لنكسب رزقنا هنا.

ـ هل أكسب بهذه الطريقة أكثر مما قد أفعل لو أودعت المال في المصرف؟

ـ إنها مغامرة ولكن لدينا أمطار صيفية جيدة ومراعٍ كثيرة في المنطقة، وطالما أن أسعار التصدير في ارتفاع مستمر، فيمكننا أن نجني ربحاً جيداً من قطيعك.

قطيعها! كم بدا لها هذا غريباً. لكن كاميلا شعرت بشيء من الإثارة، كما لو أنها على وشك أن تخطو الخطوة الأولى نحو مغامرة غريبة جديدة.

وأضاف جونو: «لكن طبعاً، عليك أن تعديني بسحب اسمي من المجلة».

ـ نعم.

وعضت على شفتها عندما راحت تفكر بالمعركة التي ستواجهها عند عودتها إلى سيدني. سوف تكشّر إديث عن أنيابها حتماً وعلى كاميلا أن تجد الطريقة لتهدئها. لكنها فكرت في أن لجونو أسباباً وجيهة تجعله

www.elromancia.com

يرغب في الانسحاب من مشروع العازبين، ولعلّ إيجاد عذر يغطي تراجعه أسهل بكثير من إيجاد شخص آخر يخلصها من قطيعها، فقالت مبتسمة: «اتفقنا. هلا تصافحنا؟».

بقي لحظة صامتاً، محدقاً إلى الطاولة بتعابير جادة ثم قال أخيراً: «طبعاً».

قبضت يده القوية على يدها وتشابكت نظراتهما. كان في عينيه شيء مثير للاضطراب خطف منها الأنفاس وشعرت بمعدتها وكأنها تهوي من ارتفاع شاهق.

أخفض جونو نظره بسرعة، وجمّد الورقة التي كانت تغلّف السندويشات.

ـ حسناً، من الأفضل أن أذهب وأهتم بالمعاملات. سأتكلم مع أحد سائقي الشاحنات كي ينقل القطيع إلى إيدنفايل بعد ظهر اليوم.

عندما نهض من مكانه، أدركت أن الحديث انتهى. ووسط شعورها بالخيبة، أمسكت حقيبة يدها وتناولت منها بطاقة تعريف ناولته إياها:

ـ سوف تحتاج إلى هذه إذا أردت الاتصال بي من أجل العجول أو... أو أي شيء آخر.

عبس وهو يمسك البطاقة بيده الضخمة وبدا أنه استغرق دهراً وهو يتفحص كل حرف فيها.

ـ أنت تتوجهين إذاً إلى سيدني؟

نهضت قائلة: «أظن ذلك، مع أنني على الأرجح لن أصل إلى «تاونزفيل» قبل حلول الليل».

ـ يُستحسن أن تذهبي إلى «تشارترز تاورز». الطريق جيدة وقد توقف المطر. ومن هناك يمكنك التوجه إلى «تاونزفيل» لتستقلي طائرة إلى

سيدني صباح الغد.

أومأت ودسّت حقيبتها على كتفها: «شكراً على الغداء».

ـ كان هذا من دواعي سروري.

مدّ يده إلى داخل معطفه وفتح جيب قميصه ليدسّ بطاقتها فيها. مضت لحظة مشحونة غريبة وهما يحدّقان إلى بعضهما البعض من دون أن ينبس أي منهما ببنت شفة. ربّاه! كم هو وسيم!

لا بدّ أنه أكثر الرجال الذين قابلتهم وسامة، وهذا الرأي تشاركها إياه نصف نساء أستراليا. لكن بغضّ النظر عن هذا، بدأ طيف رئيسة التحرير يلوح في الأفق أكثر فأكثر مع اقتراب رحيلها.

وعندما لم تبتعد، سألها: «هل من أمر آخر تودّين مناقشته؟ لم تتراجعي عن الاتفاق، أليس كذلك؟».

تنهدت مجيبة: «لا أصدق أنني أتركك تخرج من هذا بهذه السهولة».

هزّ رأسه، مطلقاً ضحكة تنمّ عن عدم تصديق واضح: «كيف يمكنك قول ذلك؟».

ـ حسناً... كل ما عليك فعله هو نقل تلك الماشية إلى حظيرة ومن ثم يمكنك أن ترفع قدميك وتسترخي في حين ترعى هي الأعشاب وتسمن، وبعدئذ تربح مالاً سهل المكسب. أمّا أنا فعليّ أن أواجه رئيستي وأحاول أن أشرح كيف خسرتك.

تفاجأت عندما رأته يحمرّ وبدا غاضباً بما يكفي ليمسك بها ويهزها.

لكنه لم يتحرك. بدا جامداً كالصخر بينما استعاد وجهه تدريجياً لونه الطبيعي... لوناً بارداً كالجليد. قال بهدوء: «لقد عقدنا صفقة وتصافحنا. لعل سكان المدينة لم يسمعوا باتفاقيات الشرف من قبل

www.elromancia.com

لكن لا مجال للتراجع الآن».

ـ كنت أخشى ذلك.

ـ كيف تلتزمين بالجزء المتعلق بك من الاتفاقية ليس مشكلتي.

وخرج من المطعم من دون أن ينتظر جوابها ومن دون أن ينظر إلى الخلف.

كانت بلدة مولينجيم نائية جداً، وبالتالي فإن إرسال الخلوي فيها ضعيف جداً، ما اضطر كاميلا للاتصال من الهاتف العمومي في موقف سوق المواشي.

هتفت إديث عند سماع صوت كاميلا: «يا إلهي! يسرّني سماع أخبارك. خشيت أن نكون قد أضعناك في البراري! هل وصلتِ إلى مول... ما اسمها؟».

ـ نعم، أنا في مولينجيم وكنت أتحدث إلى جوناثان ريفرز.

ـ أيتها النجمة الصغيرة! كنت أعلم أنك ستحلين المسألة.

عبست كاميلا متلعثمة: «نعم... حسناً...».

ـ كنت قلقة جداً بشأن راعي البقر المتمرد ذاك. إنه أساس مشروعنا.

ـ إديث، نسيت أن أقول لك إن الأمر لم يكن سهلاً. وأخشى أنني اضطررت لعقد نوع... من صفقة معه.

ـ حسناً، حسناً. سنفعل كل ما بوسعنا لنحصل على قصته.

ـ ولكن...

ـ إذا كان يريد الكثير من المال، فدعيه يتعامل مباشرة معي. اتركي أمر التفاوض لي.

سمعت كاميلا صوت ولاّعة في الطرف الآخر من الخط. كانت

إديث تتجاهل دوماً قوانين التدخين في المكتب واستطاعت كاميلا أن تتخيل أصابع رئيستها ذات الأظافر المطلية بالأحمر ترفع السيجارة إلى شفتيها المصبوغتين.

ـ إديث، الأمر ليس كذلك. لا علاقة له بالمال.

ـ يا إلهي! يريد الخروج معك.

ـ لا.

استندت كاميلا إلى أحد جوانب الغرفة الزجاجية ووضعت يداً على جبينها. سيكون هذا أصعب مما توقّعت.

ـ إنه ببساطة غير متوفر.

ـ هل هو متزوج؟

ـ لا، أصغي إلي. الأمر كله خطأ.

ـ ليس شاذاً! كاميلا قولي لي إنه ليس شاذاً.

ـ ليس شاذاً.

كانت أكيدة من ذلك، فقد أبدى جونو اهتماماً كبيراً بها. لقد ضبطته يتفحصها مرات عدة. ولكن كاميلا كادت تجفل وهي تضيف: «الخطأ هو أنه لم يقبل يوماً بأن يكون جزءاً من المشروع».

قابلها من الجهة الأخرى صمت، صمت بارد طويل. وتخيّلت كاميلا إديث تسحب نفساً طويلاً من سيجارتها لتهضم الخبر. ثم قالت إديث بصوت خافت يحمل الكثير من التهديد:

ـ كرري ما قلتِ على مهل. آمل أن أكون قد سمعت خطأ.

ابتلعت كاميلا ريقها قبل أن تجيب: «هو باختصار يريد الانسحاب ولا أعرف إن كنت أستطيع ردعه».

تمنت لو تستطيع إعطاء إديث سبباً وجيهاً. ليتها أرغمت جونو على

www.elromancia.com

إعطائها دليلاً حسياً!

ـ سأشرح لك الأمر عند عودتي إلى سيدني لكنه غير متعاون أبداً إديث. أنا آسفة. لقد فعلت ما بوسعي. أنت تعلمين أنني لا أستسلم بسهولة لكنني وصلت إلى حائط مسدود. لن نحصل على شيء منه، لذا سأعود. يفترض بي أن أكون في سيدني غداً مساءً.

هدر صوت إديث مهدداً: «كاميلا، لن تذهبي إلى أي مكان. ستبقين هناك يا عزيزتي وسوف تحصلين لي على قصة جوناثان ريفرز.

ـ ولكنني قلت لك...

ـ لا يهمني ما تفعلينه.

مرت لحظة صمت قصيرة أخذت فيها إديث نفساً عميقاً ثم تابعت قائلة: «أنت تعلمين أنني لا أحب التهديد. علاقتنا أعلى من ذلك، لكن مسألة المعلنين أكثر من حساسة. والآن عودي إلى العمل على راعي البقر هذا. أتوقع اتصالاً منك مساء غد».

وأقفلت الخط.

النجدة، لقد قُضي عليّ!

وضعت كاميلا السماعة مكانها وغطّت وجهها بكلتا يديها. لقد عقدت لتوها اتفاق «شرف» مع جونو ومحاولتها معاودة التفاوض معه أغاظته بشكل لم تعد تستطيع معه المناورة بأي شكل.

كيف تستطيع أن تجاري جوناثان ريفرز وترضي رئيستها في الوقت عينه؟ دفعت باب غرفة الهاتف وخرجت. على الرغم من الشمس المشرقة، عصفت ريح باردة، فدسّت يديها في جيبيها وبدأت تذرع المكان ذهاباً وإياباً. غالباً ما تفكر بشكل أفضل أثناء السير.

ماذا بإمكانها أن تفعل؟ أن تنقّب إلى أن تجد حقيقة مشاركة جونو

في المشروع؟ هل سيساعدها هذا؟ لعل أملها الوحيد هو إيجاد قصة بديلة رائعة. لو تستطيع أن تكتب مقالاً رائعاً عن الحياة في مزرعة للمواشي... ربما عن نظرة المرأة إلى عالم مربّي للماشية...

وسوف تمزج أفكارها بالرومنسية والزواج.. «فتاة المدينة في الريف»...

وازداد حماسها وهي تسترسل في خيالها. عليها أن تصيغها بشكل مشوّق.

خرج جونو إلى الموقف، واضعاً يديه في جيبيه، محاولاً التخلص من الغضب الذي تملّكه. كلام كاميلا دوفيرو عن حياة الرغد والهناء والكسل التي يعيشها مربو الماشية أغضبه للغاية.

عرف أنه ما كان عليه أن يدع كلامها يضايقه، فليس لديها فكرة عمّا تتطلبه تربية المواشي من تعب وجهد.

إنها مجرد فتاة سطحية من المدينة لا تعرف أي شيء عن الطريقة التي يكسب بها رزقه... لا تعرف حتى الفرق بين البقرة والعجل.

وتسمّي نفسها صحافية؟

لكن ما كان عليه أن يدعها تذهب من دون أن يصحّح لها معلوماتها. كان عليه أن يُخرجها من ذلك المطعم ويوبّخها... أو يعانقها... وتوقف فجأة عن السير. هل كانت هذه مشكلته؟ هل كان ليهتم ولو قليلاً لأمر كاميلا لو لم يجدها جذابة فاتنة؟ هل كان غاضباً بسبب ما قالته أو بسبب ما بدت عليه؟

تباً! لم يستطع أن يكفّ عن التفكير بشعرها الداكن وعينيها الآسرتين. إنها فعلاً تتمتع بجمال غريب وكأنها آتية من عالم آخر...

ولكن ما النفع؟

www.elromancia.com

إنها الآن في طريقها إلى سيدني، عائدة إلى المدينة مع افتراضاتها الخاطئة، وقد فوّت على نفسه فرصة تصحيح معلوماتها. كان عليه أن يظهر لها كم أنها مخطئة في معلوماتها عن حياة مربي الماشية.

استدارت كاميلا حول سيارة ملطّخة بالوحل وتوقفت فجأة عند رؤيتها جونو يسير متوتراً على بعد أمتار قليلة. كان قد رفع ياقة معطفه ليحمي نفسه من الهواء فيما بدا شعره الداكن مشعثاً. خفق قلبها بشكل مؤلم عندما رفع نظره وحدّق بها طويلاً.

كان وجهه قاتماً ومخيفاً بحيث كادت تسرع مبتعدة، لكن أوامر إديث لا تزال تهدر في أذنيها. سارت نحوه بخطوات بطيئة: «كنت آمل أن أجدك».

ـ لماذا؟ ظننتك سترحلين.

ـ أدركت أن عليّ الاستفادة قدر الإمكان من رحلتي فأكتب قصة عن حياة البراري أثناء تواجدي هنا.

ـ وكيف ستفعلين هذا؟ بوصف المشهد من نافذة غرفتك في الفندق؟

ـ طبعاً لا. أريد أن أجري دراسة عميقة عن الحياة الفعلية في البراري.

نطق جونو بما يشبه الشتيمة ودسّ يديه في جيبيه قائلاً: «أنت آخر من قد يكتب عن الحياة الحقيقية هنا».

ـ وما أدراك؟ أنا صحفية بارعة.

ـ لا تخدعي نفسك آنسة دوفيرو. لقد ظهرتِ في هذا المكان ورحت تتجولين مستغربة في سوق للماشية ثم اشتريت قطيعاً عن طريق الخطأ. وإذا بك تحمليني مسؤولية خطأك قائلة بكل وقاحة إن تربية الماشية عمل سهل المكسب.

فكرت قليلاً في أنها أهانت كبرياءه، فردّت: «أنا آسفة، كان هذا تعليقاً عديم التفكير».

بدا متفاجئاً من اعتذارها. وشخصت عيناه الجادّتان إليها لحظة طويلة، فكاد قلبها يتوقف. ثم قال:

ـ حسبما رأيت من مجلتك، يبدو أنكم تفضلون الخداع والأمور السطحية. لا أرى شيئاً من الواقعية فيها.

رفعت ذقنها متحدية: «أعطني أموراً واقعية».

ـ كيف؟

ـ أعطني قصة جونو. أرني كيف هي حياتك فعلاً.

ـ لا أريد أن أظهر في أي قصة تكتبينها.

ـ وعدتك بألا أكتب عنك قصة كعازب يرغب في الزواج، ولكن دعني أكتب شيئاً عن حياتك هنا. إذا أردت، يمكنني أن أشدّد على أن الحياة في البراري بعيدة جداً عن الرومنسية من وجهة نظر فتيات المدينة.

ـ أي من وجهة النظر الساذجة.

صعقها قوله. كيف يمكن لرجل بروعته أن يكون متعجرفاً إلى هذا الحد؟

ـ حسناً. لقد ربحتَ. إنسَ ما طلبته منك. سأجد شخصاً ليس ناقماً إلى هذا الحد على العالم الذي يتخطى عتبة بابه.

واستدارت، ثم ابتعدت مسرعة عبر موقف السيارات.

ـ كاميلا!

أمسكت يد حديدية بمرفقها لكنها أفلتت من قبضته ورحلت مسرعة.

ـ كاميلا، مهلاً، انتظري.

www.elromancia.com

كانت القبضة أقوى هذه المرة، ما اضطرها للتوقف والنظر إليه.

ـ ماذا تريد؟

وتفاجأت لرؤية وجهه محمّراً قليلاً من الخجل: «أظن أنه ما كان بإمكانك أن تعرفي أنني أُقحمتُ في هذا المشروع من دون علم مني، لذا أنا أدين لك بقصة».

ـ لا تزعج نفسك. يمكنني أن أجد قدر ما أشاء من الأشخاص الودودين المتعاونين. يبدو أنك الشخص الوحيد هنا الذي لا يتمتع بحسن الضيافة التي نسمع عنها عند أهل البراري.

ـ اسمعي! إذا أردت قصة عن مزرعة للمواشي، من الأفضل أن تذهبي إلى إيدنفايل.

ـ إلى مزرعتك؟

كانت تعلم أنها فغرت فاها وهي تسمع اقتراحه، لكنه فاجأها فعلاً.

ـ أجل.

ـ أتعني أنك تدعوني فعلاً خلف تلك البوابة المغلقة؟

أنار طيف ابتسامة قسمات وجهه لكن هذه الابتسامة سرعان ما اختفت وكأن الريح مسحتها.

ـ هل أنت أكيد؟

بدا لها من غير الممكن أن يتقدم جونو المتعجرف بعرض كهذا.

هزّ كتفيه قائلاً: «أنت شريكتي في العمل. وعليك الاهتمام بحال قطيعك».

لم تفكر في ذلك من هذه الزاوية: «أظن ذلك».

ـ يمكنك أن تري العجول التي اشتريتها تستقر هناك.

ـ عظيم.

ـ لقد نُظمت لتوها. البارحة كانت مع أمهاتها، لذا ستكون متوترة جداً وبحاجة إلى معاملة رقيقة عند وصولها.

ـ حقاً؟ المسكينة!

وإذ أخفت دهشتها، قالت مبتسمة: «لم أدرك أنك راعي بقر حساس لهذه الدرجة، جونو».

تصلّب فكّه لكنه تجاهل ما قالته وسألها: «هل أنت مهتمة بعرضي؟».

ـ نعم، نعم طبعاً.

يمكنها أن تكتب عن قطيعها. تستطيع منذ الآن أن ترى قصتها تتوسع «من فتاة المدينة إلى ملكة المواشي في خمس خطوات سهلة».

قاومت الرغبة في الابتسام وأضافت: «سيذهلني أن أعرف المزيد عن تقنياتك في المعاملة الرقيقة».

www.elromancia.com

٣ ـ عالم جديد

بعد ساعة تقريباً من وصول جونو وكاميلا إلى المزرعة، اتصل غيب، شقيق جونو.

ـ فكرت في أن أحذرك من صحفية من سيدني تتطفل في البلدة. جاءت هذا الصباح إلى مكتبنا تبحث عنك.

ـ نعم، عرفت بأمرها.

ـ هل علمت أنها طلبت مني أن أقلّها إلى إيدنفايل؟

ـ شكراً على التحذير أخي، ولكنك تأخرت كثيراً، فقد سبق وعثرت عليّ.

سادت لحظة صمت في الطرف الآخر من الخط: «آمل ألاّ تكون قد قسوت عليها كثيراً».

أجلى جونو حنجرته: «طبعاً لا. لقد... لقد سوّينا الأمور بشكل... ودّي».

ـ يسرني أنك تصرفت على طبيعتك. لقد كنت غاضباً من تلك المجلة بحيث تخيّلت أن شجاراً محتدماً سيقع لا محال. يسرني أن أسمع أنها لا تزال حيّة تُرزق.

أجفل جونو. ماذا سيفكر غيب إذا علم أن كاميلا دوفيرو ليست حية تُرزق وحسب، بل تجلس الآن مسترخية على أريكة على الشرفة الخلفية لمنزله تشاهد غروب الشمس، وعلى حجرها هرته «ميفس» بينما كلبه

«ساكسون» ممدد عند قدميها؟

كانت فكرة إحضارها إلى هنا جنونية لكنه ألقى اللوم على تربيته. فقد غرست أمه في نفسه وفي نفس غيب حساً فطرياً بالكياسة.

وحده شخص بربري كان ليستمر بالفظاظة التي أظهرها إزاء هذه المرأة. لم يتصرف يوماً بمثل هذه الطريقة وشعر بأنه مضطر للتعويض عمّا بدر منه، لكنه أدرك متأخراً فداحة الغلطة التي ارتكبها بدعوتها إلى إيدنفايل.

قال غيب معلقاً: «من المؤسف أنك لم تتعرف إلى تلك الفتاة في ظروف أفضل. فحتى رجل متزوج مثلي لاحظ أنها جذابة».

ـ أتظن ذلك؟

تمتم جونو بذلك، شاعراً بالحرارة تغزو وجهه. لقد أصبح التغاضي عن جاذبية كاميلا التحدي الأكبر بالنسبة إليه.

كان من الأفضل أن يتبع حدسه الأول ويرفض أي علاقة بها، لكنه ارتكب الخطأ تلو الخطأ.

وها هي الآن معه في المنزل وقد بدّلت بذلتها الأنيقة لترتدي بنطلون جينز قديماً وقميصاً قطنياً قرمزي اللون يبرز روعة جسمها فبات عدم النظر إليها مهمة أصعب بكثير.

وقال غيب: «بالمناسبة، طلب مني جيم يونغ، سائق الشاحنة أن أبلّغك أنه لن يستطيع إيصال العجول إلى المزرعة قبل المساء».

ـ حسناً، شكراً.

ـ لم أكن أعلم أنك ستشتري اليوم. ظننتك ستبيع. الأسعار ليست جيدة للشراء هذا الأسبوع.

ـ في الواقع... حسناً، حصل تغيير بسيط في الخطة.

www.elromancia.com

وتنهد جونو. لم يكن من الحكمة إخفاء الأسرار عن أخيه. فهو وزوجته يعيشان في مزرعة مجاورة ونظراً للسرعة التي تسري بها الشائعات، سرعان ما سيكتشفان عملية الشراء التي أقدمت عليها كاميلا.

ـ لقد اشترت كاميلا قطيعاً من العجول.

ـ من هي كاميلا؟

ـ الصحفية. إنها قصة طويلة، لكنها اشترتها هذا الصباح وستضعها هنا مؤقتاً.

ـ هل تمزح؟

ـ أخشى العكس. وقد تبقى هنا ليوم أو اثنين.

قوبل هذا التعليق بصمت مطبق في الطرف الآخر. فقال جونو:

ـ إنه جزء من صفقة... صفقة عمل عقدناها.

ـ هذا... هذا مذهل.

عبس جونو. كان يعلم أن غيب يتحرق لطرح سيل من الأسئلة، فسارع يشرح له:

ـ ما من شيء مذهل في الموضوع، لكنها تريد أن تكتب مقالاً لمجلتها وأنا لا أريدها أن تذهب إلى سيدني وتخبر العالم بأن كل ما أفعله هو وضع عجولها في حظيرة ومن ثم رفع ساقي. سأظهر لها حقيقة الحياة الريفية.

ضحك غيب قائلاً: «ممتاز. إنها دوافع نبيلة».

ـ دوافع؟ ماذا تقصد؟

لجم غيب ضحكته مردداً: «لا شيء. لكن بعد أن أمضيت وقتاً طويلاً ترفض جنس حواء، يسرّني أن أسمع أن الدم الأحمر عاد يسري

في عروقك أخيراً».

ـ كفى، غيب. أنا لا أحاول إغواءها.

رفع صوته ليشدّد على نواياه: «أريد أن أظهر لها أن حياة مربّي الماشية خالية من أيّ رومنسية».

ضحك غيب محدداً: «لا تدعها تقترب إذاً من يبير، فزوجتي قد تدحض نظريتك هذه في أقل من ثانية».

كانت كاميلا تتحدث إلى الهرة ميفس عندما خرج جونو إلى الشرفة. كان رأسها مائلاً إلى الأمام وشعرها منسدلاً على كتفيها كستار داكن مشتعل تحت أشعة شمس الغروب.

عندما سمعت وقع خطواته، استدارت ورفعت عينيها البراقتين نحوه.

تباً! كلما نظر إليها، يتفاجأ بمدى روعتها.

لم تكن ردود فعله هي المشكلة الوحيدة، فكاميلا تتصرف وكأن كل شيء في مزرعته مذهل وممتع. كيف يستطيع بحق الله أن يقنعها بأن الحياة هنا صعبة على أي امرأة وخالية من الرومنسية، إذا كانت عازمة على الاستمتاع بكل ما حولها؟

منذ اللحظة التي تركت فيها سيارتها المستأجرة في مرآب في مولينجيم وعادت معه إلى المنزل في الشاحنة وهي تستمتع بالمناظر الريفية والمراعي والهضاب البعيدة. بدا وكأن كل شيء يذهلها.

المشكلة أن استمتاعها لم يكن مزيفاً أو مصطنعاً، بل بدا صادقاً وعفوياً، ويا ليته يعرف السبب!

حالياً، بدا أنها كسبت صداقة هرّته. وقالت وهي تمرر يدها على ظهر ميفس:

www.elromancia.com

ـ إنها رائعة. لم أحظَ يوماً بحيوان أليف.

ـ حتى في طفولتك؟

ـ لا، وحالياً تجوب الشرطة في الشارع الذي أسكن فيه وتمنع الجميع من اقتناء الحيوانات، حتى وإن كان سمكة صغيرة.

قاوم الرغبة في سؤالها عن سبب عدم اقتنائها حيواناً أليفاً وهي طفلة، فمعرفة تاريخ حياتها ليس جزءاً من الخطة. إنها هنا في عمل.

وبدلاً من ذلك، قال لها: «تبدين مرتاحة هنا، لذا ابقي مكانك بينما أحضّر المكان للعجول».

وتوجه نحو السلالم.

ـ لا تذهب من دوني.

رفعت الهرة عن ركبتيها لتضعها أرضاً: «أريد أن أختبر قدر ما أستطيع».

كان وجهها مشعاً، فأشاح بنظره بعيداً ليحدّق إلى كتلة النار الغاربة في الأفق، متنهداً: «هيا بنا إذاً».

* * *

كانت مزرعة إيدنفايل قائمة على تل مرتفع يشرف على وادي مولينجيم. والسحب الرمادية التي كانت تهدد بالمطر هذا الصباح اصطبغت الآن بلون زهري ذهبي رائع في ضوء شمس المغيب. وفي آخر المنحدر، بحيرة تأوي عدداً من أنواع البط والأوز وتحيط بها المراعي الشاسعة المعشوشبة المزدانة بالأشجار والمواشي.

قالت كاميلا مجدداً: «المكان جميل هنا».

أومأ جونو ومشى بسرعة أكبر بحيث اضطرت للركض لتلحق به. في مخزن العلف، سحب ثلاث رُزَم من التبن.

ـ هل يمكنك أن تحملي إحداها؟

ـ طبعاً.

ومدت ذراعيها بكل طيبة خاطر لتأخذها منه: «ماذا سنفعل الآن؟».

ـ سنوزع التبن في الحظيرة لكي تجد العجول ما تأكله عندما تأتي. لم تأكل شيئاً في سوق المواشي وقد فُطمت عن حليب أمهاتها. لا نريد أن تسوء صحتها.

وفيما كانا هما يفتحان الرزم وينثران التبن حول السياج، سألته:

ـ لِمَ لا توزّع العلف في كافة أرجاء الحظيرة؟

ـ وضع التبن في الوسط مضيعة للوقت. سوف تدوسها العجول وتمزجها بالوحل.

وقفت ووضعت يديها على وركيها وهي تراقب عملهما.

ـ هذا منطقي.

عبس جونو: «إنها مجرد حظيرة كاميلا. وليس تحفة فنية».

وآلت الأمور من سيء إلى أسوأ عندما أصرّت على تحضير العشاء.

ـ أنا ماهرة في الطهو ولا بد أنك سئمت من تحضير الطعام لنفسك.

ـ في الواقع، بالكاد أطهو اللحم المشوي. تأتي امرأة لتنظف البيت كل أسبوع وتطهو عن الأسبوع كله.

ـ لكنك تحب التغيير، أليس كذلك؟ ثم التواجد هنا في الريف وسط الحيوانات والتبن وغروب الشمس يساعد في إبراز مواهبي المنزلية.

لا بد أنه بدا متفاجئاً لأنها سارعت تضيف: «لا تقلق، جونو. هذا لا يحصل معي دائماً. لست خطيرة ولا أدخل المطبخ فيتهيأ لي خاتم ذهبي أو مذبح مزيّن. الطهو هو الحدّ الأقصى لمواهبي».

أجابها بابتسامة ساخرة: «يسرّني أن أعرف أنني بأمان».

www.elromancia.com

ليته يستطيع أن يتصرف مثلها برودة! لكن دخول كاميلا دوفيرو إلى مطبخه بدا له أكثر خطورة من دخول ثور حلبة المصارعة.

أمّا هي فوجدت فكرة التسكع في مطبخ جونو وتحضير وجبة مما تجده من مكونات أمراً ممتعاً. ولكن عندما جلسا لتناول الطعام إلى مائدة مستديرة من خشب الصنوبر، استحال إحساس كاميلا بالاستمتاع توتراً واضحاً.

ما الذي تفعله هنا وحدها مع هذا الرجل الرائع والمثير للاضطراب؟ لقد أمضت معظم يومها تواجهه وها هما الآن، وحدهما، في هذا المنزل الشاسع المهيب، يتشاركان الطعام، والسهرة لا تزال طويلة أمامها، من دون أن تنسى نظرات جونو التي تشعل النيران فيها.

أكلا طعامهما في صمت ثقيل مطبق. ودّت كاميلا لو تجري مقابلة مع جونو ولكن الأسئلة المعتادة التي قد تطرحها يمكن أن تحول لقاءهما إلى ما يشبه الموعد الغرامي. لا سمح الله!

حتى لو لم يكن عدائياً إلى هذا الحد، فما الذي يجذبها إلى جونو ريفرز على أي حال؟ إنهما ينتميان إلى عالمين مختلفين.

لكنها لم تشعر يوماً بهذا القدر من الجاذبية. كان المطبخ كلّه يغلي، والنار الداكنة الغامضة تشتعل في عيني جونو كلما نظر إليها. لم تكن يوماً معقودة اللسان، متوترة الأعصاب بهذا الشكل... ولكم ارتاحت عندما نهض من كرسيه قائلاً: «أظن أن الشاحنة التي تنقل عجولك وصلت».

اتجه إلى الباب الخلفي حيث علّق معطفه: «لا تخرجي الآن. الطقس بارد ولن تتمكني من رؤية الكثير في الظلام».

هتفت كاميلا: «لا تفكر حتى بتركي هنا. عليّ أن أشاهد عجولي وهي تصل. انتظر قليلاً ريثما أحضر معطفاً من غرفتي».

كان الطقس بارداً جداً في الخارج والظلام مخيماً، فيما السحب السوداء تحجب ضوء القمر. سطعت أنوار الشاحنة في سواد الليل وهي تتقدم ببطء نحو الحظائر، ولم تستطع كاميلا إلاّ أن تلاحظ مهارة السائق وهو يمرّ بشاحنته في ممر ضيق.

قال جونو: «انتظري هنا. لا أريد أن أخيف العجول في الظلام. إذا سقط أحدها، فقد يكسر قائمته».

كانت سعيدة وهي تنتظر في الظلال بينما راح جونو يتحدث إلى السائق. استطاعت سماع خوار العجول وهي تقف بصبر في الشاحنة ومن ثم وقع حوافرها على الحديد وهي تنزل.

وعلى ضوء المشعل الخافت، رأت ظلال الماشية تتجه نحو الحظيرة. واحد، إثنان، ثلاثة... هذه عجولها، عجولها هي.

شعرت بشعور غريب بالفخر وهي تراها تنزل بهدوء من الشاحنة كتلاميذ المدرسة المطيعين. حتى أنها وجدت نفسها تفكر بأسماء لها: رولاند، سيموس، برونو، فريد، جو، لانس، ألونزو...

كان الرجلان يتكلمان عند الضرورة وبصوت خافت، فتذكرت أن جونو لم يشأ إخافة العجول. إنها بحاجة إلى معاملة رقيقة...

في الماضي كانت فكرتها عن مربي الماشية تصوّر لها رجالاً فوضويين يمتطون الأحصنة وفي أيديهم أسواط يضربون بها الماشية، وليس رجالاً يسهرون في ليلة باردة ليتأكدوا من أن عجول امرأة غريبة استقرت في حظيرتها ولا ينقصها شيء. ولم تستطع كاميلا إلا أن تتساءل كيف يمكن لجونو ريفرز أن يعامل امرأة يهتم لأمرها.

* * *

في الصباح التالي، استيقظت كاميلا على صوت العصافير المغردة في الشجرة المجاورة لنافذتها. تمددت في سريرها وراحت تحدق

www.elromancia.com

بعينين شبه مغمضتين إلى الخارج فرأت نور الفجر يتسرب إلى الغرفة عبر مصراعي النافذة الخشبية.

أغمضت عينيها مجدداً وأخذت تصغي إلى العصافير. كان من الصعب عليها أن تكبت ابتسامتها. بدت تلك الطيور نشيطة جداً، فريدة جداً، أسترالية جداً. فهي لم تسمع يوماً زقزقة عصفور ضاحك في كينغز كروس.

وفجأة، طافت من عمق ذاكرتها صور من زمن آخر، ذكريات من الماضي عندما كانت نائمة في منزل ريفي واستيقظت على صوت ضحك. يا إلهي! لقد نسيت كل شيء عن تلك العطلة التي أمضتها في منزل زميلة لها في المدرسة.

كانت «آن بايج» تعيش في مزرعة وتذكرت كاميلا عندما كانت ممددة في غرفة الضيوف تستمع إلى الضحك الصباحي. كانت آن ووالدها وأخوها قد استيقظوا واجتمعوا في المطبخ حول مائدة الفطور وكانوا يضحكون بعفوية وسعادة وخلوّ بال.

انهمرت الدموع على خدّي كاميلا. لم تسمع يوماً والديها يضحكان بهذا الشكل. لم يكن لديهما وقت ليتشاركا الطعام أو الاستمتاع والضحك.

والآن، بعد سنوات طويلة، ها هي ممددة في غرفة في إيدنفايل، تحاول مجدداً أن تتذكر لحظات في طفولتها ضحكت فيها مع والديها.

كان والدها يصطحبها إلى السينما أيام السبت يتناولان المثلجات ويضحكان على الصور المتحركة. لكنها لم تستطع أن تتذكر المزيد من اللحظات السعيدة. كل ما تذكره يصبّ في خانة الجدال والشجار. كان عليها أن تسأل والدها عن ذلك. لا بد أنه كان هناك أوقات مرح أكثر.

كان جونو ينهي فطوره عندما دخلت كاميلا المطبخ، مرتدية بنطلون

جينز وجاهزة للعمل. لم يُفرحه كثيراً أنها تبدو في الصباح على نفس القدر من الجمال الذي تبدو عليه خلال النهار أو في المساء.

سألته وهي تسكب لنفسها فنجاناً من الشاي: «هل استيقظت منذ وقت طويل؟».

ـ ذهبت إلى الحظيرة ووضعت الماء للعجول.

ـ أفترض أنك تنهض دائماً مع بزوغ الفجر.

أومأ وأشاح بنظره بسرعة. فبعد أن أمضى الليل بطوله مستيقظاً، وقضّت مضجعه ألف فكرة مغرية، سرّه أن يرى الفجر يبزغ.

ـ ماذا يحصل الآن؟ ماذا عليك أن تفعل غير وضع العجول في حظيرتها؟

ـ اليوم يجب أن توسم.

ـ توسم؟

ـ أجل. علي أن أوسمها وأعلّق في أذنها علامة وألقحها وغداً أنقلها إلى حظيرة قريبة وأعلفها بالتبن لعدة أيام. من المهم أن تبقى هادئة قدر الإمكان.

ـ لم أتخيل أن صغاري ستأخذ هذا القدر من وقتك. أفترض أن لديك عملاً آخر.

كاد جونو يُبدي ملاحظة ساخرة عن رفع القدمين لكنه فضّل تجاهل الأمر.

سألته كاميلا: «هل أنت مضطر لوسمها؟».

ـ إنها الطريقة الوحيدة لإثبات الملكية.

ـ أعرف... لكنني ظننتك لا تريد أن تثير اضطرابها ووسمها بالنار يبدو وحشياً... مسكين «ألونزو».

www.elromancia.com

ـ ألونزو؟

احمرّت وجنتاها وسارعت تقول: «لا تهتم. مجرد زلة لسان».

كانت قطعة الخبز التي وضعتها في الفرن قد تحمصت، فأخرجتها ووضعتها في صحنها:

ـ أظن أن القلق بشأن وسم العجول هو ما تتوقعه من فتاة آتية من المدينة، مثلي.

ـ لستِ مضطرة لمشاهدة ذلك.

في الواقع، سيكون أفضل إن لم تشاهد ذلك.

ـ إسمعي، لا أظن أن وجودك هنا جيد. ربما كان من الأفضل لو مضيت في طريقك في الأمس. لِمَ لا ترحلين هذا الصباح؟

ـ لا، لا تسيء فهمي بالنسبة إلى الوسم. لم أقصد الانتقاد. أريد أن أختبر كل شيء، أنا بحاجة لأن ألمس كل شيء لمس اليد.

ـ أمر واحد يمكنني أن أعدك به هو أنك لن تلمسي كل هنا لمس اليد.

ـ لم لا؟

تشابكت عيونهما للحظات مؤلمة عبر مائدة المطبخ وبدا وكأن كلمات جونو أخذت معنى آخر.

ربما لا يزال تحت تأثير تلك الليلة المجنونة التي جافاه فيها النوم. غير أنه شعر فجأة بصدمة أيقظته من أفكاره التي ما كان عليه أن ينجرف وراءها، ورأى الصدمة نفسها منعكسة في عيني كاميلا.. كما لو أن يد كلّ منهما امتدت لتلامس الآخر.

تباً!

نهض جونو بسرعة وتوجّه مباشرة إلى المغسلة ليغسل فنجانه:

ـ لن أدع شخصاً عديم الخبرة مثلك يقترب من القطيع. هذا العمل شاق ويمكن أن يكون خطيراً أيضاً، لا يمكنني أن أخاطر بتعريضك للأذى.

ـ ولكنه قطيعي، والدقة تقتضي أن أقترب منه.

ـ ومصلحتي تقتضي بأن أتجنب دعوى قد ترفعها ضدي مجلة حديث المرأة، لأن إحدى موظفاتها لاقت حتفها هنا.

وتوجّه نحو الباب: «خذي وقتك في تناول الفطور. إذهبي إلى الحظيرة إن شئتِ ولكن استعدّي للتنحّي جانباً في أي لحظة».

على الرغم من أقوالها الجريئة عند الفطور، شعرت كاميلا بالخوف وهي تتوجه إلى الحظيرة، إذ كانت تعلم أن ما سيحصل لن يعجبها.

ـ إبقي هناك.

أمرها جونو بذلك، مشيراً إلى موقع بالقرب من أداة معدنية غريبة الشكل أشبه بأداة تعذيب تعود للقرون الوسطى.

ـ ما هذا؟

ـ إنها أداة السحق. نستعملها للسيطرة على الماشية أثناء عملنا عليها.

أداة السحق! اسم على مسمّى.

ألقت كاميلا نظرة إلى اليسار ورأت شعلة نار زرقاء منبعثة من قنينة غاز، تتراقص على قطعة معدنية عريضة حمراء لشدّة حماوتها، فشعرت بأحشائها تتقطع.

تذكّري كاميلا! هذه هي الواقعية التي تبحثين عنها.

إلى يمينها، رأت جونو يرسل أول حيوان من قطيعها عبر ممر ضيق يحيط به سياج معدني مرتفع من الجانبين.

www.elromancia.com

يا للحيوانات المسكينة، ولم تقاوم رغبتها في الإسراع إلى ذلك الحيوان التعيس لتبادره بكلمة مهدئة.

إلاّ أن صوت جونو هدر في أذنيها: «لا تقفي أمامه. ظننتني قلت لك أن تبتعدي».

ودفعها جانباً بينما كان يحاول إدخال العجل إلى آلة السحق. حاول الحيوان المسكين الهرب لكن حركة أخرى من جونو ثبتته جيداً بين فكّي الأداة المعدنية.

وضعت كاميلا يديها على فمها مذعورة: «المسكين. إنه عاجز».

ـ هكذا تجري عملية الوسم. والآن، هلاّ تراجعتِ قليلاً بينما ألقح هذا الصغير وأثقب له أذنه؟

واستعمل أداة أشبه بالمسدّس لحقن كمية صغيرة من السائل في ظهر الحيوان.

ـ في الماضي، كانوا يغطّسون الماشية ولكن اليوم مجرد رشّة واحدة تبعد عنها الطفيليات والحشرات.

وبسرعة قياسية، راح يتنقل بين طاولة العمل والعجل المسكين الذي أطلق صوتاً متألماً بينما كان جونو يثقب أذنه.

سألته كاميلا: «هل هذا مؤلم؟».

ابتسم قائلاً: «بقدر ما كان ثقب أذنيك لوضع هذه الأقراط مؤلماً».

بعدئذ، حمل الحديد الحامي في يديه، فوسم كتف العجل الذي صدر عنه صوت آخر فيما تصاعدت رائحة وبر محترق.

رفعت كاميلا يدها إلى فمها لتلجم أي احتجاج قد يصدر عنها واكتفت بمراقبة جونو يقوم بالعملية نفسها على عجل آخر. وعندما أدنى الحديد من شعلة النار مجدداً، قالت:

ـ لا بد أن هذا مخيف جداً بالنسبة إليه. ألا يمكن لأحد أن يخترع طريقة أفضل للقيام بذلك؟

كان وجهه قاسياً كالرخام وهو يمر بجانبها وقال بجفاء:

ـ يقول المثل: إن كنت لا تحتمل الحرارة، فابتعد عن المطبخ.

ـ لا داعي لأن يتصرف المرء بوحشية.

توقف مكانه لحظة ثم استدار ناحيتها: «قد تظنين أنني وحش ولكن انظري إلى صغيرك.. ألونزو».

قال ذلك مشيراً خلفها، فاستدارت لترى الحيوان يأكل التبن. حدّق إليها بعينين بنيتين واسعتين وهو يمضغ العلف سعيداً.

ـ لا أظنه سيحتاج إلى أي علاج أولي أو ما شابه، ألا تظنين ذلك؟

وجدت نفسها تومىء برأسها موافقة. كان عليها أن تقرّ بأن العجل لا يبدو متألماً على الإطلاق: «ربما أنت محق».

راح جونو يعمل على العجل التالي، بينما راحت كاميلا تراقبه بدهشة أكثر منها بخوف.

دنت منه أكثر، عاجزة عن سلخ عينيها عن بنطلونه الجينز الباهت وعضلاته المفتولة وهو يعمل.

كان في صورته الملونة التي نُشِرت في «حديث المرأة» إشارة إلى قوته، ولكن رؤيته في الواقع مختلفة تماماً.

ماذا سيكون إحساسها لو أن هذا الجسم القوي الجذاب وكل هذه الطاقة الناضحة منه مركزان عليها؟ لا بدّ أن جونو ريفرز عاشق غير كل العاشقين.

ولكن من أين أتت بهذه الفكرة؟ كيف يمكن لرجل ممزوج بالعرق والغبار والماشية أن يتمتع بكل تلك الجاذبية؟

www.elromancia.com

ماذا يحصل لها؟ معظم الفتيات ينتشين أمام رائحة الياسمين والجلسات الرومنسية وعازفي القيثارة أمام الشرفات. أمّا هي فبدأت تشعر بالإثارة فيما لا ترى سوى الغبار وحديد الوسم الحامي ورؤوس الماشية.

وماذا يحصل لجونو؟ كان مسمّراً مكانه يحدق إليها، وفي يده مسدس الحقن، وعلى وجهه تعبير حائر يماثل تعبيرها.

أشارت إلى الآلة التي في يده ضاحكة: «هل تنوي أن تبعد عنّي الجراثيم والطفيليات أنا أيضاً؟».

احمرّ وجهه وتمتم قائلاً: «آسف، لقد شرد ذهني».

كان هذا سخيفاً. عليها أن تضع حداً لهذه الأفكار التي تراودها عن هذا الرجل. فقالت محاولة تغيير الموضوع: «أعرف الآن كيف تفعل كل هذا. فهل ستدعني أساعدك؟».

هتف بقوة: «مستحيل!».

ـ ولكن عليك أن تقوم بأعمال عدة في آن معاً. هيا دعني أساعدك.

لم يُجب واكتفى بهز رأسه.

ـ ألا يساعدك أحد عادة عندما تقوم بهذا العمل؟

ـ عدد هذه العجول لا يتعدى الخمسة عشر. إنه عمل بسيط.

ـ ولكن المساعدة مفيدة، وإن كانت من فتاة من المدينة.

وتناولت من جيب بنطلونها ورقة وقالت:

ـ كتبت لك تنازلاً يحررك من العواقب القانونية كلها، في حال أصبتُ بأي أذى.

وخطت خطوتين نحوه لتسلّمه الورقة: «كنت جادة في الأمس عندما قلت إنني صحفية بارعة. وقد عرّضتُ عملي للخطر لأمنحك حريتك.

أنت تدين لي بهذه الفرصة».

راقبت كتفيه تعلوان وتنخفضان وحاجبيه ينعقدان وهو يتفحصها، فسارعت تقول له:

ـ لا بد أن أحدهم يساعدك عادة في سوق العجول لتلقحها.

رفع نظره عن الورقة وابتسم ببطء، مرسلاً في كيانها أحاسيس لم تعهدها من قبل، ثم قال:

ـ حسناً، يمكنك القيام بذلك. هذه العجول لا تزال صغيرة ولا يمكن أن تحدث الكثير من الضرر.

علمها كيف تقترب من العجل وأعطاها عصا طويلة لتربّت بها على ظهره إن اقتضت الحاجة.

ـ إحرصي على أن تكوني دائماً خلف القطيع وليس أمامه.

قال هذا وعاد إلى طاولة العمل. وبعد أن بادرها بابتسامة مشجّعة، قال: «حسناً، يمكنك أن تباشري عملك».

عندئذ طبعاً بدأ قلبها يخفق بشدة ومعدتها تتشنج، وتساءلت ما الذي دهاها لتفتح فمها الكبير. هل كانت حقاً تريد القيام بذلك؟

خطت خطوة صغيرة نحو العجل الأقرب إليها، وحثّته برقّة قائلة: «هيا».

لكنه لم يتزحزح من مكانه.

حاولت مجدداً بصوت أعلى: «هيا». فاستدار وحدّق إليها بعينين بنيتين كبيرتين.

ـ هيا، جونو لن يؤذيك كثيراً.

ناداها جونو من مكانه: «اقتربي منه أكثر».

تباً!

www.elromancia.com

خطت خطوة أخرى، فابتعد العجل متوجهاً نحو البوابة، حيث تريده تماماً أن يتوجّه. فتبعته وهي تنادي: «أحسنت، واصل السير».

واجتاز الحيوان البوابة المفتوحة وتوجّه إلى حيث كان جونو بانتظاره فقال لها هذا الأخير بنبرة لا تخلو من الحماسة: «أحسنت!».

أبقت عينيها على بقية رؤوس الماشية، وراحت تراقب في الوقت عينه جونو وهو يقوم بكل مهارة وسرعة بتلقيح ووسم العجل الذي بين يديه. كانت لا تزال تحدّق إليه بإعجاب عندما هتف قائلاً: «التالي». فأدركت أن عليها أن ترسل إليه عجلاً آخر.

وبعد أن عملا على أكثر من ثمانية عجول، بدأت كاميلا تعتاد فعلاً على مجريات الأمور وعرفت كيف تقارب الماشية كي تتقدم على الفور.

ناداها جونو قائلاً: «أنت تبلين حسناً».

فخفق قلبها بسرعة وأحسّت بالفخر وكأنها تلميذة حضانة ألصقت لها المعلمة على دفترها نجمة لأنها كتبت اسمها جيداً.

هذا العمل مختلف عن أي شيء قامت به من قبل ولكنه أشعرها بإحساس غريب بالرضى. لقد أحبّت ما يتضمنه من نشاط جسدي ودقة في التوقيت. كما أنها أحسّت بشعور سخيف بالراحة لمجرد التفكير بأن «عجولها» أصبحت الآن تنتمي رسمياً إلى إيدنفايل، فهي تحمل علامة «أ» التي تشير إلى إيدنفايل.

ـ يمكنك إن شئت أن ترسلي العجلين الآخرين معاً.

ـ حسناً.

دنت من العجلين الأخيرين، فقفزا مهتاجين قليلاً. ولكن ما إن دخلا البوابة حتى راحا يتقدمان بهدوء.

أخذت كاميلا نفساً عميقاً راضياً وأخفضت بصرها إلى جزمتها الملطّخة بالوحل. كانت التجربة تستحق إفساد جزمتها المفضّلة.

صرخ جونو من مكانه: «أقفلي البوابة».

رفعت نظرها لترى العجل الأخير وقد استدار عائداً بسرعة نحوها.

أسرعت نحو الباب وأمسكته مستعدة لإغلاقه و...! وإذا بشيء يطرحها أرضاً ويخطف أنفاسها.

ـ كاميلا!

سقطت آلة الوسم هي أيضاً أرضاً عندما رأى جونو كاميلا تقع، وقفز قلبه في صدره وهو يسرع نحوها كالسهم. كانت ممددة من دون حراك.

هل تأذت كثيراً؟ لقد فتح العجل الأخير البوابة بقوة.

أسرع جونو نحوها وجثا على ركبتيه بقربها: «كاميلا».

لمَ لا تتحرك؟ وتملّكه ذعر شديد شنّج معدته، ومدّ يده إلى وجهها محاولاً التواصل معها. الحمد لله أنها واعية. سألها: «هل أنت بخير؟ ما الذي يؤلمك؟».

فتحت عينيها وتمتمت قائلة: «أنا... أظنني بخير».

كانت ملطخة بالوحل والقش من رأسها حتى أخمص قدميها، ورأى بعض الدم على ذقنها حيث اصطدمت بالبوابة.

ـ هل أنت واثقة من أنك بخير؟ هل تؤلمك أضلاعك؟

ـ إنها صدمة ليس إلا.

ـ دعيني أساعدك على الجلوس.

ـ نعم، شكراً.

وقف خلفها وجذبها إليه ليساعدها على الجلوس، وسرّه أنها لم

www.elromancia.com

تتعرض إلى أي إصابة أخرى عدا الجرح البسيط في ذقنها.

ولكم حاول جونو جاهداً أن يتجاهل جسمها الدافىء المتكىء عليه، ولكن عبثاً.

ـ آه، لا.

أطلقت كاميلا صرخة وهي تلمس ذقنها وترى الدم على أصابعها. كانت تكره رؤية الدم ولا سيما دمها هي.

دنا جونو منها أكثر وراح يتفحص ذقنها بلمسة رقيقة: «أظن أنه مجرد خدش. هل تشعرين بألم في مكان آخر؟».

ـ لا أظن ذلك. أنا آسفة. كان عليّ أن أغلق البوابة جيداً.

ونظرت في عينيه مباشرة. كانتا على مقربة منها ومليئتين بالقلق عليها. آه لا! ها هي تذوب أمام سحر جونو. يا له من وقت مناسب لتكون فيه ملطّخة بالوحل والدم.

قال لها: «سآخذك إلى المنزل».

ـ أظنني أستطيع المشي. لقد أُصبت بالدوار قليلاً ولكنني بخير الآن.

من المؤسف أنها مفطورة على الصدق. فهي تتحرق شوقاً لأن يحملها بين ذراعيه. لِما لم تدّعي الألم أكثر؟

ـ لا تتحركي، سأحملك.

رائع! وقبل أن تتمكن من القيام بمحاولة ضعيفة للمجادلة، مرّر ذراعه تحت ركبتيها ووضع الأخرى حول كتفيها، حاملاً إيّاها من دون أي جهد ظاهر.

ـ جونو، الطريق إلى المنزل طويلة. لا يمكنك أن تحملني كل هذه المسافة.

اصمتي كاميلا. دعيه يفعل!

لم يتكلم وتنهدت كاميلا بعمق وهي تطوّق عنقه بذراعها. ماذا يمكن لفتاة أن تفعل غير ذلك؟ كانت في معظم الأحيان تدافع عن حقوق المرأة وكرامتها وتقف في وجه المجتمع الذكوري، ولكن إذا عزم رجل وسيم على إنقاذها، فعليها أن تستسلم لتجربة التمدد بين ذراعين قويتين تبدوان وكأنهما لا تحملان سوى ريشة أو هرّة صغيرة.

بوجه عام، كان ذلك رائعاً.

لو رأتها زميلاتها في المكتب الآن، لأصابتهنّ حتماً غيرة جامحة.

وضعها في المطبخ على كرسي وأمرها بأن تلازم مكانها بينما يحضر منشفة ووعاءً من المياه الفاترة وزجاجة المطهّر.

ـ إجمدي مكانك بينما أزيل الطين عن وجهك وأرى مدى الأضرار التي طالتك.

ـ يقال إن الطين مفيد للبشرة.

قالت هذا محاولة تخفيف وطأة الجوّ، إذ بدا لها شديد القلق والجدّية.

ابتسم قليلاً: «أتريدين أن أترك هذه القذارة عليك؟».

ـ آه... ربما لا. لقد تذكرتُ لتوي روث البقر في الحظيرة.

وشعرت بالامتنان لأنه لم يسمح لنظراته أن تتشابك طويلاً بعينيها وهو يمسح الوحل عن جبينها. فمن المحرج للغاية أن يلاحظ مدى استمتاعها برعايته لها.

عندما وصل إلى ذقنها، استعان بقطعة نظيفة من القماش، غمّسها بالمادة المطهّرة والمياه وراح يمسح الجرح بعناية ورقة بالغتين، لكنها لم تستطع إلا أن تجفل.

www.elromancia.com

- بعد تنظيف الجرح سأضع عليه بعض الثلج لئلا يلتهب.

- ليس سوى خدش، أليس كذلك؟

- لا أظن أنه سيترك ندبة.

وإذ بدا لها من نبرته أنه يحاول أن يخفي قلقه، قالت له: «أرجوك جونو لا تقلق. وعدتك بألاّ أرفع شكوى ضدك. أنا واثقة من أنني لم أتشوّه، وعلى أي حال، أنا من أصرّ على القيام بذلك».

كان جاثياً بجانبها يمسح وجهها، فحاولت مزحة أخرى:

- لو تعلم كل أولئك النساء الراغبات بالزواج بك أن عليهنّ السقوط أرضاً ليرينك جاثياً أمامهنّ!

لم يُجب هذه المرة أيضاً، وتابع تنظيف ذقنها. وفجأة، شعرت كاميلا بأنها لم تعد ترغب بالمزاح، لكنها لم تستطع سلخ عينيها عن جونو.

كان وجهه محمرّاً وبدا من حنجرته وكأنه يشعر بالتوتر... أو الانزعاج، وعندما راح ينشّف وجهها بمنشفة نظيفة، تباطأت حركته أكثر فأكثر، وازدادت رقّة، فتبادر إلى ذهنها سيل من الصور والأفكار المغرية، وأحسّت فجأة بضيقٍ خطف منها أنفاسها، وتشنجت معدتها وتخدّرت أطرافها.

لمعت عينا جونو وتشابكتا بنظراتها، وعلمت أنه عاجز وأسير بقدرها هي وأنه يكاد يفقد السيطرة على نفسه. لم ينبس ببنت شفة لكن عينيه غاصتا عميقاً في عينيها وكان قربه منها أشبه بإغراء يستحيل مقاومته. همس قائلاً: «كاميلا!».

وبدفء عذب، رأته يفلت المنشفة من يده ويضع يديه على ذراعي الكرسي حيث كانت جالسة ليدنو منها أكثر.

٤ ـ منافقة

رفع جونو يديه عن ذراعي الكرسي ومرّر أصابعه على وجه كاميلا، حريصاً على ألاّ يؤذي ذقنها، مشعلاً في كيانها سلسلة من الأحاسيس الجامحة، الحالمة التي لم تعرف لها مثيلاً من قبل.

وحدها ثيابها الموحلة منعتها من ضمّه إلى صدرها، ولكنها أمسكت بقميصه بكلتا يديها وأغمضت عينيها، محاولة استيعاب كل لحظة، وسرعان ما غدا عناقه أكثر حميمية، فسمعت كاميلا الرغبة تهدر في أذنيها كالرعد وسمعت... وقع خطوات.

- يا إلهي! كان عليّ أن أقرع الباب.

ابتعد جونو عنها عندما تناهى هذا الصوت إليه من عند المدخل. ورأت كاميلا من فوق كتفه امرأة شقراء نحيفة تقف عند باب المطبخ حاملة صبياً صغيراً ممتلىء الجسم بين ذراعيها وبقربها فتاة صغيرة.

هتف جونو وهو يقف بسرعة: «بيبر!».

وتملّك كاميلا إحساس بالذنب كما لو أنها ضُبطت وهي تتسلل من أحد المتاجر.

قالت المرأة وقد بدا في عينيها مزيج من الإحراج والفضول: «آسفة، لم أفكر في قرع الباب».

غزا الاحمرار وجه جونو وهو ينحني ليلتقط الوعاء والمناشف المبعثرة:

www.elromancia.com

ـ حصلت حادثة في الفناء. فقد طرح أحد العجول كاميلا أرضاً.

ـ هل ركلك؟

سألت المرأة ذلك وقد خَفَت البريق في عينيها عند رؤيتها ذقن كاميلا.

ـ لا، في الواقع أنا بخير. إنني ملطخة بالوحل ولكن عدا ذلك، أنا بخير.

سارع جونو يقول: «دعيني أعرّفك. كاميلا دوفيرو، هذه زوجة أخي، بيبر ريفرز».

تبادلت المرأتان ابتسامات حذرة. كانت بيبر ترتدي قميصاً زهري اللون وبنطلون جينز ضيقاً، فبدت مشرقة وشابة جداً لتكون أمّاً لهذه الفتاة الظريفة وذلك الصبي المكتنز الجسم.

وتصوّرت كاميلا أنها في السابعة والعشرين من عمرها، مثلها هي.

ـ وهذان العفريتان هما ولدا أخي، بيللا ومايكل.

خبرة كاميلا مع الأولاد كانت محدودة، فاكتفت بالتلويح لهما قائلة: «مرحباً».

ثم أضاف جونو: «أظن أنه سبق وتعرفت إلى زوج بيبر، غيب».

ـ أجل، صاحب الطوافة. التقيته في مولينجيم البارحة.

ومدّت كاميلا يدها لبيبر ثم ما لبثت أن سحبتها بسرعة:

ـ يا إلهي! لا يمكنني أن أصافح أحداً. إنني قذرة جداً، وكنت على وشك الاستحمام.

ردّت بيبر بابتسامة عريضة دافئة دخلت قلب كاميلا: «تشرفت بمعرفتك كاميلا».

وراحت الفتاة الصغيرة تشد بنطلون جونو: «هل هذه السيدة

ستساعدك في الاهتمام بنا، عمّي جونو؟».

بدا جونو مذهولاً. فسألته بيبر مقطبة جبينها: «هل نسيت أنك تطوعت لرعايتهما بينما أحضر أنا وغيب العشاء السنوي الذي تنظمه جمعية مربي الماشية؟».

ـ أجل طبعاً. لم أنسَ تماماً، ولكنني كنت... تائهاً قليلاً. فقد اشترت كاميلا بعض العجول البارحة.

وكما لو أنه يرغب في إخفاء إحراجه، انحنى بسرعة وحمل بيللا بيده فيما راح يدغدغها باليد الأخرى، فأخذت هذه الأخيرة تضحك سعيدة.

ـ هل أنت واثق من أنّ ما من مشكلة في تركهما معك؟

بدا سؤال بيبر هذا موجهاً إلى كاميلا أكثر منه إلى جونو.

فهتفت كاميلا: «طبعاً. أرجوكما لا تغيّرا أي مشروع بسببي. أنا هنا كمراقبة فقط. أنا صحفية وجونو... يساعدني في... مراقبة جوانب الحياة الريفية. في الحظيرة والمرعى...».

لطالما كان الإحراج يشتت أفكارها وها هي الآن تشعر بإحراج شديد.

ـ إذا كان الجلوس مع الأطفال جزءاً من الصورة، فهو يضفي عليها بعداً إنسانياً مثيراً للاهتمام.

اشتبكت نظراتها لحظة بنظرات جونو، ثم استأذنت وأسرعت إلى الحمام وقد احمرّ وجهها وهي تتساءل عن رأيه في البعد الإنساني الذي أضفياه للتو على علاقة العمل التي تجمعهما.

عندما دخلت المطبخ بعد الاستحمام، كان الطفل مايكل جالساً على الأرض، يلعب بأغطية بعض الأوعية، فيما جلست بيبر بمفردها

www.elromancia.com

إلى الطاولة. قالت: «لقد أخذ جونو بيللا إلى البحيرة لترى البط».

كان على الطاولة إبريق شاي وفنجانان وبعض الحليب والسكر، فأدركت كاميلا أن حديثاً حميماً على وشك أن يجري بينهما.

هل تتوقع منها بيير أن تشرح لها لما كانت تعانق شقيق زوجها بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على تعارفهما؟

ـ كيف حال ذقنك الآن؟

ـ بخير. إنه مجرد خدش.

ـ هل تودين شرب الشاي؟

أخذت كاميلا مقعداً ولجمت رغبتها في طلب القهوة، إذ كانت تشرب الكثير منها: «شكراً».

قالت بيير وهي تسكب الشاي: «يسرني أنك لم تتأذي كثيراً».

ثم ظهر تعبير عابس على وجهها وهي تتابع قائلة: «لكن علي أن أقرّ بأنني قلقت قليلاً عندما قال لي غيب إن صحفية من مجلة «حديث المرأة» تمكث هنا. تخيّلت فوراً أن حرباً على وشك الاندلاع».

ابتسمت كاميلا وهي تتناول فنجان الشاي من يد بيير وقالت: «في الواقع، مرت لحظة أو اثنتان البارحة تملكتني فيهما رغبة في لكمه على وجهه... لكنه ضخم جداً فتوصلنا إلى هدنة مؤقتة».

رفعت بيير فنجانها مبتسمة: «أنا دوماً أقول إنه لا يمكن مقاومة هدنة جيدة».

أدركت كاميلا أنها تلمّح إلى العناق الذي قاطعته بدخولها. وكما لو أنها شعرت بالإحراج لتطفّلها، احمرّت بيير وانحنت بسرعة لتقرّب الغطاء من طفلها. لكن عندما نظرت إلى كاميلا مجدداً، قالت: «بما أننا بمفردنا، ما رأيك لو نتحدث قليلاً؟».

أجابت كاميلا بحذر: «كما تشائين».

ـ اقترح غيب أن أشرح لك سبب عدم... عدم تعاون جونو مع مجلتك.

كادت المفاجأة تخطف أنفاس كاميلا، فمالت أكثر إلى الأمام وقالت: «سيسرني معرفة ذلك، فأنا لا أعرف شيئاً من جونو عدا أنه لا يريد المشاركة في هذا المشروع».

ـ هذا هو كبرياء آل ريفرز. لقد عرفتهم منذ صغري إذ ترعرعت بجوارهم. إنهم يتمتعون بالكبرياء والقساوة من الخارج وبطيبة القلب من الداخل. وقد تعرّض جونو فعلاً للإذلال بسبب مشروعك.

ـ يؤسفني سماع ذلك.

ـ أنا واثقة من أن نوايا مجلتك حسنة، لكن النتائج كانت محرجة. لقد استطاع جونو التعامل مع سيل الرسائل التي وصلته، لكن حشداً غفيراً من النساء راح يظهر من دون انقطاع أمام عتبة إيدنفايل، ومن دون دعوة. نساء يسعين وراء دعمه المادي وأخريات يرغبن في الاهتمام به والطهو له، وغيرهنّ يسعين وراء الخروج معه. رُحن يطاردنه بكل الطرق المتاحة وطبعاً كان عليه أن يتحمل كل أنواع الملاحظات السخيفة والمضحكة من السكان هنا.

تذكرت كاميلا الابتسامات والقهقهات التي سمعتها في اليوم السابق في سوق الماشية. فسألت بيير: «ولكنني لا أفهم كيف تورط في هذا المشروع رغماً عنه. هل زيّف أحدهم اسمه؟».

ـ أجل.

كان الطفل قد بدأ يسبب الفوضى على الأرض، فحملته بيير وقبّلته قبل أن تضعه على ركبتيها:

www.elromancia.com

- عليّ أن أطعم الصغير وأستعدّ. سيصل غيب قريباً.

- لكن عليك أن تخبريني بسرعة من فعل هذا بجونو. لن أخبر أحداً طبعاً.

ألقت بيبر نظرة سريعة إلى الباب ثم أخفضت صوتها قائلة: «إنها صديقة جونو السابقة، سوزان هيث. أرسلت إلى المجلة صورة قديمة له كانت لا تزال تحتفظ بها وزوّرت توقيعه».

- لمَ فعلت هذا بحق الله؟ هل كانت تنتقم منه لأنه تخلّى عنها؟

زمّت بيبر شفتيها وهي تقول: «في الواقع، سوزان هي من تخلى عن جونو وليس العكس. بقيا معاً فترة لا بأس بها إلى أن ظهرت سوزان على حقيقتها».

تنهدت بيبر وضمّت طفلها إلى صدرها، قبل أن تتابع قائلة: «كان جونو متحمساً جداً للزواج بها».

وأحسّت كاميلا بشعور غريب لم تتوقعه: «حقاً؟».

- أجل ولكنه اكتشف أنها كانت تخونه مع رجل يدعى تشارلز كيلغور.

شعرت كاميلا بالتعاطف الشديد مع جونو، لدرجة أن عينيها وخزتاها وآلمتها حنجرتها:

- مسكين جونو... ولكن هذا لا يفسّر لما أرسلت سوزان اسم جونو إلى «حديث المرأة».

هزت بيبر رأسها ساخطة: «لم تعد سوزان تعيش في الجوار وإلاّ لفاتحتها بالموضوع. لكنها تدّعي على ما يبدو أنها كانت تحاول أن تعوّض على جونو وتدبر له فتاة أخرى. هذا يُظهر مدى سخافتها».

- بالفعل.

- كما لو أن جونو ريفرز عاجز عن الإيقاع بأي امرأة يريد من دون مساعدتها.

- بالضبط.

وأبقت كاميلا عينيها منخفضتين إذ أدركت أن بيبر تظن على الأرجح أنها هي أيضاً تريد جونو، وتابعت قائلة: «جميع الفتيات في مكتبي أردنه لأنفسهنّ. في الواقع سيصعب عليهنّ تصديق أن سوزان تلك تخلّت عنه».

بدت لمحة تسلية في عيني بيبر وهي تجيب: «نعم، أظن أنه سيصعب عليهنّ ذلك».

ثم هزّت رأسها مضيفة: «ولكن سوزان فتاة لعوب وهي لم تأخذ عمل الماشية على محمل الجد مثل جونو، وسئمت من تكريس نفسه للمزرعة وأعمالها. بصراحة، هي وتشارلز كيلغور يستحقان بعضهما».

- فهمت.

ثم عضّت كاميلا شفتها مفكرة: «هل لا يزال جونو يحبها؟».

ضحكت بيبر: «بعد كل ما فعلته به؟ لا بد أنك تمزحين!».

ثم ألقت نظرة مفكرة ناحية كاميلا: «إذاً تلك الهدنة التي توصلتما إليها...».

وترددت قليلاً، فسارعت كاميلا تقول: «لقد سبق ووافقتُ على سحب جونو من المسابقة، حتى قبل أن تخبريني بهذا».

- عظيم. هذا رائع.

- إنني أحضّر بدلاً من ذلك مقالاً عن الحياة في البراري، من وجهة نظر فتاة من المدينة.

ابتسمت بيبر: «لا تترددي في المجيء إلى مزرعة «ويندارو» متى

www.elromancia.com

شتى. سيسرّني أن أريك الحياة في البراري، ولكن من وجهة نظر فتاة ريفية طبعاً... ولكن على المرأة الريفية الآن أن تطعم طفلها وتعدّه للنوم. سوف ينام كل فترة بعد الظهر وكل ما عليكما فعله هو الاهتمام قليلاً ببيللا. أخشى أن السيدة الصغيرة صعبة المراس لكنها ولحسن الحظ تحب جونو كثيراً».

رأى جونو كاميلا تتوجه إلى البحيرة حيث كان يساعد بيللا على التقاط الضفادع الصغيرة ووضعها في وعاء مخصص للمربى. راح يتابع خطواتها بعينيه، منقلاً نظراته بينها وبين بيللا التي ترقص عند حافة المياه.

بدت ساحرة في بنطلونها الجينز الضيق وقميصها الأحمر الداكن، وكان كلبه ساكسون يقفز سعيداً إلى جانبها، فراحت تنحني بين الحين والآخر لتداعبه ثم تستقيم في وقفتها وترفع عنقها البديع لتشاهد طيران سرب من البط البريّ.

عندما وصلت إليه، لمعت عيناها وانفرجت شفتاها بابتسامة بطيئة، وكل ما استطاع التفكير فيه هو معانقتها مجدداً... وهو أمر سخيف بعض الشيء.

ركضت بيللا ومدّت الوعاء ناحية كاميلا من دون أن تكلّف نفسها عناء إلقاء التحية عليها:

ـ لقد التقطت سبع ضفادع.

جلست كاميلا القرفصاء بجانب الصغيرة وراحت تتفحص الضفادع المسكينة.

ـ إنها ظريفة أليس كذلك؟ ماذا ستفعلين بها؟

ـ سآخذها وأضعها في الجدول الذي يمرّ أمام منزلنا.

أومأت كاميلا قائلة: «ربما سينفعها التزاوج».

نظرت بيللا إليها حائرة: «ما معنى هذا؟».

ألقت كاميلا نظرة عاجزة على جونو: «هذا يعني أنني لا أعرف كيف أتكلم مع الأولاد».

ضحك قائلاً: «لا تقلقي. بيللا تعلّق على كل شيء».

وسرعان ما وضعت بيللا ضفادعها وراحت تلعب مع ساكسون. قالت له كاميلا:

ـ حدّثني عن بيبر. إنها تثير اهتمامي وأنا واثقة من أنها ستكون مادة دسمة لمقالي.

تفحّصها لحظة طويلة قبل أن يسألها: «ما الذي تريدين معرفته؟».

ـ كيف هي حياتها؟ كيف تمضي وقتها؟ هل تشترك هي أيضاً في إدارة ويندارو؟

ـ أجل بالتأكيد. ما من شيء يختص بالماشية أو بإدارة المزرعة تجهله بيبر. صحيح أن غيب يساعدها ولكن اهتمامه الرئيسي منصبّ على الطوافات. لذا، فإن بيبر تهتم بأمر العمّال، وتعمل بقدرهم في الحظائر، وتهتم بحسابات المزرعة...

ـ وهل توفّق بين كل هذا ودورها كزوجة وأم لطفلين؟

ـ أجل والمشكلة أن بيبر تجعل كل هذا يبدو سهلاً للغاية.

عبست قائلة: «يمكن لنساء المدينة فعل هذا أيضاً».

هزّ جونو كتفيه وألقى نظرة على المنزل: «انظري إليها الآن».

لوّحت بيبر لهما من الشرفة. كانت قد غيرت ملابسها وارتدت عباءة حريرية زرقاء فيما انسدل شعرها الذهبي بلون القمح حراً على كتفيها. حتى من تلك المسافة، استطاعت كاميلا أن ترى لمعان قرطيها

www.elromancia.com

الماسيين وتبرّجها الجميل فأقرّت قائلة: «لا أثر للمرأة الريفية الآن. إنها سندريللا عصرية».

ـ وها هو أميرها.

تعالى فوق رأسيهما صوت محرّك وما هي إلا دقائق حتى هبطت مروحية في الفناء. راحت كاميلا تراقب بذهول غيب ريفرز وهو يترجل من الطوافة، وقد بدا في غاية الوسامة بطول قامته وثياب السهرة التي يرتديها. ورأت بيبر تسرع نحوه.

تنهدت كاميلا: «ليت آلة التصوير معي».

راقبتهما يسرعان الواحد نحو الآخر ولاحظت كيف ابتسم غيب لزوجته وأشرق وجهه حباً ما أثّر كثيراً في كاميلا فحبست الدموع في عينيها.

لم تعرف في حياتها شخصاً قد ينظر إليها هكذا. لا أحد من أهلها، لا أحد إطلاقاً. حتى في أحلامها لم تستطع أن تتصور رجلاً ينظر إليها بهذا الشكل. لم تكن تأمل حتى بإيجاد مثل هذا الشخص... لكن رؤية بيبر وغيب جعلتها تفكر في ذلك.

قالت لجونو بنبرة حيوية: «يُفترض بي أن أكتب عن غياب الرومنسية في البراري ولكن هذا الثنائي يبدو رومنسياً للغاية».

حمل جونو بيللا بين ذراعيه، وراح يلوّح لوالديها بينما كانت المروحية تحلّق بهما، ثم نظر إلى كاميلا عابساً: «غيب وبيبر حالة نادرة».

تنهدت مفكرة: «أظنك على حق».

وقفا جنباً إلى جنب إلى أن اختفت المروحية في البعيد وبدا الجو حولهما مشحوناً وكأن كلاً منهما يتساءل عمّا يفكر فيه الآخر.

ـ إذا كنت متحمّسة فعلاً للتعرف على حقيقة الأشياء في البراري بما في ذلك انعدام الرومنسية، فإن مذاود العلف بحاجة إلى التنظيف بعد ظهر اليوم، ما سيغير حتماً نظرتك الوردية إلى هذا المكان.

رفعت كاميلا ذقنها متحدية، لكنها أجفلت قليلاً عندما أحسّت بالخدش يؤلمها مجدداً. كان عناقه لها قد أنساها كل وجع، ولكنه حتماً لا يسعى الآن إلى تكرار التجربة.

قالت بكل برودة استطاعت افتعالها: «أودّ أن أنظف المذاود».

وأسرعت إلى الفناء، شاعرة بالانتصار للطريقة التي فغر فيها فمه، متفاجئاً.

ما الذي دهاه بحق الله؟

لم يستطع جونو أن يصدق جنونه لكي ينتقل من خطأ إلى خطأ أفظع. أولاً، دعا كاميلا دوفيرو إلى منزله وكما لو أن هذا الغباء لا يكفي، فقد صوابه وعانقها... وأضاع نفسه في أعذب عناق على الإطلاق.

ولم ينفك عن التفكير فيه طيلة فترة بعد الظهر.

انسحب جونو إلى مكتبه لإجراء بعض الحسابات، وترك بيللا تتسلى ببعض القصص والألعاب، لكنه أمضى معظم وقته يراقب كاميلا من نافذة مكتبه، وهي تنظف المعالف بكل ما أوتيت من طاقة.

وعند المساء، شعر بالذنب لأنه تركها تحضّر العشاء مجدداً.

ما كان عليه أن يتركها تتصرف كما لو أنها في منزلها. وما كان عليه أيضاً أن يجلس إلى طاولة المطبخ ويدّعي قراءة بريده، في حين أنه يسترق النظر إليها وهي تقشّر الخضار. كان شعرها المرفوع يظهر بشرتها الحنطية المثيرة وعنقها الجميل، وتطلّب منه بقاؤه في كرسيّه كل قوته.

www.elromancia.com

تناهى إلى مسامعها صراخ صوت صغير: «أحدهم نام في سريري».

ودخلت بيللا كعاصفة هوجاء إلى المطبخ، وعيناها الخضراوان تومضان.

تباً! لقد نسي أمر السرير.

قال وهو يداعب خصلات ابنة أخيه الشقراء:

ـ أنت محقة يا ذهبية الشعر. لقد نامت كاميلا في سريرك الليلة الفائتة وسوف تنام فيه الليلة أيضاً.

ضربت بقدمها ملحّة: «ولكنه سريري، أنا أنام فيه دائماً عندما يهتم بي عمي جونو».

ـ أعلم حبيبتي ولكن لدي أسرّة كثيرة غيره. سأحضّر لك سريراً آخر لليلة، فكل أغراض كاميلا في تلك الغرفة.

استدارت كاميلا نحوهما: «يمكنني أن أنقلها بكل سهولة».

ـ كلا.

هزّ جونو رأسه رافضاً، فبيللا عنيدة بعض الشيء لذا لم يجد من الحكمة الانصياع لرغباتها. سألها:

ـ ما رأيك لو تنامين في سرير ضخم الليلة؟

ـ لا. أريد سريري الصغير الأبيض. يمكن لكاميلا أن تنام في السرير الكبير فهي كبيرة.

وما لبثت أن نظرت إليه بعينين متسعتين، كما لو أن فكرة جديدة خطرت لها فجأة:

ـ يمكنها أن تنام في سريرك.

ـ آه... لا بيللا، هذه ليست فكرة جيدة.

تباً! لقد تسارعت نبضات قلبه لمجرد التفكير في الموضوع.

كانت كاميلا تقشر البطاطا، مديرة ظهرها إليه، لكنه رأى الاحمرار يغزو مؤخرة عنقها.

ثم تابع الصوت الصغير مستفسراً: «لم لا تنام قربك؟ أنتما راشدان. يمكنكما أن تكونا مثل ماما وبابا».

تساءل جونو إن كانت كاميلا تبتسم. وقال:

ـ والداك متزوجان. والمتزوجون فقط ينامون في سرير واحد، أليس كذلك كاميلا؟

كانت كاميلا تركز اهتمامها على تقطيع البطاطا، كما لو أنها تجري عملية جراحية دقيقة. وعندما سمعت سؤال جونو، تصلّبت كتفاها قبل أن تستدير وترفع حاجبيها ذاهلة: «أظن ذلك».

نظرت مباشرة في عينيه وقد لمعت عيناها بقوة. لكنه لم يعرف إن كان ذلك دليل غضب أم تسلية. ثم ما لبثت أن استدارت مجدداً لتقضي على رأس بطاطا آخر. غير أن بيللا أصرّت قائلة:

ـ لكنني رأيتك تعانق كاميلا. هذا يعني أنكما متزوجان، أليس كذلك؟ أبي يعانق أمي دائماً.

قفز جونو من مكانه: «كفى حديثاً عن العناق».

وراح يدغدغ الصغيرة.

ـ لكنكما كنتما متعانقين.

ـ لقد خدشت، كاميلا ذقنها وكان عليّ أن أخفف عنها، والآن لنذهب ونحضّر سريرك.

وما إن بلغا الباب، حتى جاء صوت كاميلا قائلاً:

ـ دع بيللا تنام في السرير الصغير. لا مانع عندي من النوم في سرير كبير الليلة.

www.elromancia.com

تشابكت أعينهما لحظة. كانت عيناها داكنتين، لامعتين، مثيرتين... وغامضتين.

ـ حسناً...

ابتلع جونو ريقه بصعوبة. لم تكن كاميلا تعني سريره هو طبعاً.

ـ ربحتِ بيللا. السرير الصغير لك والكبير لكاميلا.

* * *

ـ لقد نامت بيللا أخيراً، كيف حال الصغير؟

تكلّم جونو بصوت خافت وهو يتوجه إلى غرفة الجلوس حيث كانت كاميلا جالسة على الكنبة تشاهد مباراة في كرة المضرب.

رفعت رضّاعة الصغير الفارغة وأجابت بنبرة انتصار:

ـ لقد أطعمت مايكل وجشأته وغيّرت له ثيابه وها هو الآن نائم.

ابتسم جونو قائلاً: «أحسنتِ. لقد فاجأتني. هذا إنجاز عظيم. ظننت أنك لا تعرفين شيئاً عن الأولاد».

ـ صحيح، لكنه صغير جداً وأفضل ما فيه أنه لا يتكلم. لا أظن أن بإمكاني الاعتناء ببيللا مع كل ما تطرحه من أسئلة.

ـ إنها صعبة.

ـ ولكنك تجدها رائعة، أليس كذلك؟

ـ بل أنا مجنون بحبها.

وارتمى متعباً بين الوسائد في الطرف الآخر من الأريكة.

ألقت ناحيته نظرة جانبية سريعة وحبست أنفاسها عندما لفحتها جاذبيته الأخاذة. كان يرتدي كنزة صوفية جميلة أبرزت وسامة وجهه، فأرغمت عينيها على العودة مجدداً إلى الرياضيين على الشاشة الصامتة. لكنها فقدت فجأة كل اهتمام بلاعب كرة المضرب الأسترالي.

وكان هذا ضرباً من السخافة! فمن الجنون أن تدع ذهنها يشرد في عالم من الأحلام، لمجرد أنها تذكرت ذلك العناق.

عليها أن تكفّ عن التفكير في ذلك وتشدّ لجام أفكارها الشاردة. لكن صوتاً في ذهنها راح يردّد: مجرد عناق جعلك تشعرين هكذا، فماذا لو...؟

كفّي كاميلا! لا تدعي أفكارك تهذي أكثر. ما الفائدة من ذلك؟ فأنت عائدة إلى سيدني.

أخذت نفساً عميقاً وجرّت أفكارها إلى حديث آمن: «هل تعتني كثيراً ببيللا ومايكل؟».

نظر جونو إليها مبتسماً: «ليس تماماً. تأتي بيللا إلى هنا مراراً لكن بيبر في معظم الأوقات تأخذ الطفل معها أو توكله لوالديّ. إنهما متقاعدان ويعيشان في البلدة. ولكن اليوم كان من الأسهل على غيب أن يهبط بالمروحية هنا».

كان جالساً بشكل عفوي على الأريكة، مريحاً ركبتيه على إحدى الوسائد. أضاف بابتسامة ساخرة بعض الشيء: «لا أظن أنك مضطرة لمعرفة الكثير عن الأطفال، طالما أنك لا تنوين الزواج».

ـ أنا... أظن ذلك.

مال نحوها، سائلاً: «كيف حال ذقنك؟».

ـ بخير شكراً. المرهم فعّال على ما يبدو.

مدّ يده ولامس وجهها برقة بأطراف أصابعه، لكن لم يكن في اللمعان في عينيه أي رقة إطلاقاً. شعرت كاميلا بصوت يهمس في داخلها: عانقيه. فكري بكل النساء اللواتي خذلهن. لم يحظين يوماً بهذه الفرصة. هيا.

www.elromancia.com

لكن جزءاً آخر من ذهنها كان يحثها على التفكير بسلبيات معانقة جونو ريفرز. فهي في نهاية المطاف ستبقى هنا يوماً واحداً على الأكثر وتعود إلى سيدني...

ولكن المشكلة أن... هذه الحجة بدت لها ضعيفة وقديمة و... دنا منها أكثر فملأ عطره أنفها. وضع يده على خدّها، فشعرت بالدفء يتملكها... لكنها أجفلت فجأة عندما صدمتها فكرة غير مرحب بها. إديث! تباً! كان عليها أن تتصل برئيسة التحرير الليلة.

في تلك اللحظة بالذات، رنّ جرس الهاتف. فقفز قلبها من مكانه، في حين أن جونو تذمّر وهو ينظر إلى مصدر الصوت.

نهضت كاميلا عن الأريكة بسرعة: «سأجيب».

ولكن يده أمسكت بذراعها: «من الأفضل أن أجيب أنا. لعلّها بيبر تريد أن تطمئن على الولدين، ولكن قد يكون أيضاً اتصال عمل».

كان جهاز الهاتف الأقرب في مكتبه، ورفعت كاميلا يدها إلى فمها متوترة وهو يجتاز الغرفة بسرعة ليجيب على الهاتف. ماذا لو كانت إديث هي المتصلة؟

وما لبثت أن سمعت وقع قدميه عائداً، وعندما دخل الغرفة كان وجهه قاتماً. قال غاضباً:

ـ الاتصال لك. إنها ربة عملك.

نهضت كاميلا من مكانها مدركة أن ركبتيها تصطكان، وعندما حاولت الخروج من الغرفة، أعاق جونو طريقها: «إنها مسرورة جداً لأنني جالس برفقة صاحبة «مشروع العازبين». كانت تعلم أنك ستغيرين رأيي بعذوبة لسانك».

كانت نبرته قاسية، فسارعت تقول: «ولكنني قلت لها إنك

انسحبت!».

ـ حقاً؟ يبدو إذاً أنها لم تفهم كلامك.

ـ هكذا هي إديث. جونو أرجوك لا تغضب. يمكنني أن أشرح الأمر. أنا...

ـ لا تزعجي نفسك. اذهبي فقط واشرحي «مجدداً» لرئيستك أنني سئمت من مجلتكم.

ـ نعم طبعاً ولكن جونو أرجوك...

ـ إنها تنتظر، يبدو لي أنها من النوع غير الصبور.

راح جونو يذرع المنزل إلى أن دخل أخيراً المطبخ، غير عابىء بإشعال النور. وقف في الغرفة الباردة المظلمة وأخذ ينظر عبر النافذة، من دون أن يرى النجوم الساطعة والقمر الفضيّ. لقد أساء الحكم على كاميلا دوفيرو. لقد خدعته.

عانقته وخدعته بالبراعة نفسها. تباً! إنها ليست أفضل من سوزان هيث.

لقد ضاق ذرعاً بمسألة المجلة تلك. منذ اللحظة التي اكتشف فيها ذلك الهراء، أخذ موقفاً حاسماً وحمل درع الدفاع ورسم خطاً أحمر لم تستطع أيّ من صائدات الأزواج اللاتي طاردنه اجتيازه... إلا كاميلا!

تباً! كان على وشك أن يعانقها منذ دقائق. وكل ما كان يفكر فيه هو التعرف إليها أكثر وإيجاد طريقة لإبقائها في حياته.

لم يهتم للمسافة التي تفصل سيدني عن مولينجيم. ففي القرن الواحد والعشرين، لم تعد المسافات مشكلة.

ولكن النفاق مشكلة.

والوقوع في حب امرأة منافقة هو من أسوأ أنواع المشاكل.

www.elromancia.com

ظن أنه تعلم الدرس من سوزان. لِمَ لم يستمع إلى حدسه بشأن كاميلا؟ إنها كغيرها من الصحفيات، تسعى وراء مصالحها الشخصية؟

لقد خدع نفسه عندما ظنها مختلفة. غريب كيف أن الرجل أحياناً يدع غرائزه تطغى على سلامة تفكيره.

أحسّ بيدٍ تلامس ذراعه، فأجفل واستدار ليجد كاميلا واقفة خلفه مباشرة، ووجهها الشاحب يلمع في الظلام وعيناها أشبه بمحيط عميق لا تُسبر أغواره. سألها مستهزئاً: «أجريتِ دردشة لطيفة مع إديث؟».

ـ لا تهتم لأي شيء مما قالته إديث.

ـ ولم لا؟ إنها رئيستك، أم أنا مخطىء؟

ـ أجل ولكنها ليست المسؤولة عن القصة، بل أنا، وأنا وعدتك جونو بأن نسحبك من المشروع.

ـ هل قلت لها ذلك؟

تنهّدت: «حاولت».

ـ حاولتِ!

ردّد ذلك بنبرة ساخرة مستهزئة: «كذبة جيدة كاميلا. وقريباً ستقولين لي إنك آسفة، لقد فعلتِ ما بوسعك ولكن للأسف!».

ـ لا.

شبكت ذراعيها على صدرها، محاولة دعم حججها ومواقفها قدر الإمكان:

ـ سأفعل تماماً ما قلتُ لك إنني سأفعله. إنني أكتب قصة بديلة وإديث ستشتريها عندما تقرأها وتنسى الخيبة التي مُنيَت بها بسببك.

ـ ولكن هذا ليس مؤكداً، أليس كذلك؟ إنها لا تزال تتوقع مني أن أدخل في اللعبة وأنت ما زلت تغامرين بقصتك الجديدة تلك.

ـ أعدك بأنني فور عودتي سوف...

ـ هذه ليست الصفقة التي عقدتها معي.

أرجعت رأسها إلى الخلف وأطلقت تنهيدة يائسة وهي تنظر إلى السقف:

ـ هذه مشكلتي جونو. ولن أدعها تؤثر فيك. لكن نعم لقد غامرت. وشعاري يقول: عندما لا يكون أمامك خيار، عليك أن تغامر.

ـ هناك دوماً خيار.

ـ حقاً؟ وتتراجع مبيعات المجلة وأخسر أنا وظيفتي... بعض الخيارات ليست مغرية كثيراً.

لم يجب. فقد أكدت لتوّها أسوأ مخاوفه.

لم تستفق كاميلا في الصباح التالي على زقزقة العصافير، إنما على ملامسة أصابع صغيرة تحاول استرعاء انتباهها. سألتها بيللا: «هل أنت مستيقظة؟».

فتحت كاميلا عينيها الناعستين ورأت شعراً أشقر وعينين خضراوين تحدقان إليها عند حافة السرير.

ـ الآن أجل.

ـ هل يمكنني أن أصعد إلى سريرك؟

ـ آه... حسناً، أظن ذلك.

تسلّقت الصغيرة السرير وجلست بالقرب من كاميلا.

ـ أنت محظوظة. فقد نامت ميفس طوال الليل على سريرك.

ابتسمت كاميلا رغم الساعة المبكرة وقالت:

ـ أجل، كانت أشبه بعبوة مياه ساخنة على قدميّ طيلة الليل. إنها رائعة.

www.elromancia.com

لم تحظَ من قبل بحيوان أليف ينام على سريرها. ولم ينم أي طفل في سريرها من قبل، فكان حضور بيللا دافئاً.

قالت الفتاة الصغيرة: «تعجبني بيجامتك. أحب اللون الأحمر اللماع».

ـ لكن ما من أبقار سوداء وبيضاء على بيجامتي كتلك التي تلبسينها. إنها مذهلة.

ـ لدي واحدة أخرى في المنزل مرسوم عليها ضفادع خضراء. ولدي أيضاً ستة كلاب في المنزل.

ـ كم أنت محظوظة!

ـ كم كلباً لديك؟

ـ ولا واحد... إلاّ إذا احتسبنا كلب البودل الفرنسي الذي أهداني إياه أبي عندما كنت صغيرة.

ـ وما هو البودل الفرنسي؟

ـ إنه كلب يقتنيه الناس الذين يعيشون في فرنسا.

ـ هل يستطيع ملاحقة الماشية؟

ضحكت كاميلا للفكرة وأجابت بسرعة: «لا! أظنه يخاف حتى الموت لو رأى بقرة، سأرسل لك صورة لكلب البودل قريباً. فأنا سأسافر إلى فرنسا لزيارة أبي».

ـ أبي أنا يستطيع أن يحلّق صعوداً ونزولاً وفي كل الاتجاهات.

ـ والدك بارع جداً في قيادة الطائرات. أليس كذلك؟

لم تستطع كاميلا أن تصدق أنها تستمتع بهذا الحديث فعلاً.

ـ لديه أربع طوافات.

وعدّت بيللا حتى أربعة على أصابعها وراحت تحرّكها في الهواء

مقلدة تحليق الطوافة ومن ثم حطّت الأصابع الصغيرة على أنف كاميلا.

ـ أنفي ليس مدرجاً للطائرات.

وانفجرت كلتاهما بالضحك... إلى أن أتى صوت جونو من الخارج، فماتت الضحكة على شفاههما.

ـ نحن هنا، عمّي جونو.

ـ أين؟

ـ أنا وكاميلا نتحدث.

ظهر جونو عند الباب عابساً، فسارعت كاميلا ترفع الغطاء إلى ذقنها.

أعلنت بيللا قائلة: «كاميلا صديقتي الجديدة».

بدا جونو حائراً وغاضباً واكتفى بالقول: «بيللا، فطورك على وشك أن يبرد».

ثم غادر مسرعاً من دون أن يلقي التحية على كاميلا.

www.elromancia.com

٥ ـ دعوة

تفاجأت كاميلا بسبب ما شعرت به من انزعاج لدى عودتها إلى سيدني.

جلست عند نافذة شقتها وراحت تحدق إلى الشارع في الخارج وقد أدركت أنها تغيرت، فقبل زيارتها منطقة البراري تلك لم يزعجها يوماً أن يكون المشهد الذي تطل عليه شقتها خالياً من الأشجار.

المباني والناس والسيارات والرصيف والكلاب المارّة من وقت إلى آخر كانت تكفيها. ولطالما شعرت بالسعادة بالجلوس هناك في المطبخ لتناول قهوتها الصباحية ومشاهدة العالم يمر من أمامها. العالم.. كما لو أن العالم عبارة عن إطارات سيارات أو كعوب أحذية النساء أو تبختر رجال الشرطة.

ما خطبها؟ لماذا لا تزال تتوق إلى شيء آخر رغم مرور أربعة أشهر؟ تتوق إلى رائحة القش والمراعي وزقزقة العصافير، تتوق إلى مربي ماشية طويل القامة ذي بسمة ساحرة خطيرة.

إنها لمضيعة للوقت أن تستمر في استعادة ذكرياتها في إيدنفايل. ولكن في نهاية المطاف كان ذلك فصلاً مهماً في حياتها.

لم يرافق رحيلها أي وداع عاطفي. فقد كان جونو متجهماً بقدر ما كان عليه يوم لقائهما. لذا قبلت دعوة بيير لزيارة «ويندارو» حيث أكملت قصتها.

ولم تسمع شيئاً عن جونو منذ رحيلها.

أرسلت له رسالة مهذبة بُعيد عودتها إلى سيدني، تشكره فيها على ضيافته، كما بعثت له لاحقاً بطاقة بريدية بحجة الاطمئنان على العجول.

كل ما تلقته كان رداً موجزاً من وكيل أعمال جونو، أندرو بوين، يعلمها فيها أنه في حال بقيت حالة الطقس وأوضاع السوق على حالها، فسيبيع جوناثان ريفرز قطيعها خلال ستة أسابيع تقريباً.

ستة أسابيع! سيكون عدد «حديث المرأة» الذي يتضمّن قصتها عن مولينجيم قد أصبح في الأسواق.

وجفّ حلق كاميلا وهي تتذكر الشجار الذي حصل بينها وبين إديث. لقد توسلتها: «أرجوك إديث. فكري بالأمر، إذا وضعنا قصة البراري وقصة العازبين جنباً إلى جنب، لن يتضايق القراء بسبب انسحاب جونو، لأننا سنعطيهم شيئاً آخر يفكرون فيه».

كانت واثقة من أن الأمرسينجح إذا أرفقت قصتها بالعديد من الصور عن رجال البراري، العازبين منهم والمتزوجين.

الحمد لله أن إديث وافقت أخيراً، محذّرة إياها بأنه لو فشل المشروع، فسوف تقدم رأسها للناشرين على طبق. والمشكلة الأسوأ كانت جين، صديقة كاميلا وزميلتها في «حديث المرأة»، التي ما انفكّت تضايقها بأسئلتها عن جونو.

كيف يبدو شخصياً؟ ماذا عن طباعه؟ هل تقربت منه؟ هل كانت تحاول الاحتفاظ به لنفسها؟...

ولكن في النهاية... في النهاية، استسلمت جين.

الآن، أمام كاميلا ستة أسابيع من الانتظار إلى أن تصدر القصة...

www.elromancia.com

وستة أسابيع إلى أن تنتهي أعمالها وعلاقتها مع جونو ريفرز بشكل نهائي.

ستة أسابيع ويعود كل شيء إلى طبيعته.

* * *

لعلّ جونو عرف الموضوع الذي ستفتحه زوجة أخيه حال دخوله إلى مطبخها.

ـ ما رأيك بمقال كاميلا في «حديث المرأة»؟

ـ ألهذا السبب دعوتني إلى العشاء؟ لتستجوبينني؟

ـ لا!

وحاولت بيبر أن تبدو وكأنها تعرّضت لإهانة كبيرة: «لقد دعوتك لأننا ببساطة لم نرك منذ دهور. أراهن على أنك لا تعرف حتى أن مايكل بدأ يحبو. سوف يمشي قريباً».

بدا الذهول على تعابير جونو: «حقاً؟ أنا آسف. كنت منشغلاً بعض الشيء في الآونة الأخيرة».

عبست بيبر في وجهه وحدّقت إلى عينيه مباشرة: «هذا هو العذر الواهي الذي أعطيتُه لكاميلا».

ـ أعطيته لمن؟

وجاهد ليستعيد أنفاسه قبل أن يتابع سؤاله: «كنت تتحدثين إليها؟».

استدارت نحو الفرن وراحت تحرّك حساء الفطر الذي كانت تعدّه، ثم قالت:

ـ اتصلت بها لأشكرها على النسخة التي أرسلتها لنا من مجلة «حديث المرأة» ولأهنئها على قصتها الرائعة.

ـ فهمت.

ـ كانت سعيدة جداً لسماع أخباري وطبعاً سألتني عن رأيك في القصة.

حاول جونو أن يبتلع ريقه ولكن بصعوبة.

ـ هذا الحساء يبدو شهياً.

ـ جونو! تذكّر أنني أعرف رجال آل ريفرز عن ظهر قلب وتغيير الحديث لا ينجح معي.

تنهد مجيباً: «حسناً، حسناً.. إذاً أرادت كاميلا أن تعرف رأيي بالمقال. ماذا قلتِ لها؟».

ـ أخشى أنني لم أتدبر أمري جيداً معها. لقد كشفتني على ما أظن، فقد تلعثمت واختلقت أعذاراً عن أنك دائم الانشغال ولا نراك كثيراً.

أومأ جونو.

ـ وطبعاً أدركت أنني أتستر عليك.

ـ هذا غير صحيح. فقد قلت الحقيقة.

ألقت عليه نظرة متشككة: «كما تريد جونو ولكنك مدين لي بجواب الآن. ما رأيك بمقال كاميلا؟».

قطّب جبينه: «ليس من عادتي قراءة المجلات النسائية».

ـ أرجوك. ليست أي مجلة، إنها القصة التي كتبتها كاميلا عندما كانت هنا، تحت سقف منزلك!

وتوقّع جونو أن تضيف بيبر: «وعندما كنت تعانقها بشدة لمجرد أنها خدشت ذقنها». ولكن لحسن حظه أنها اكتفت بالقول: «لقد أرسلت لك نسخة أليس كذلك؟».

ـ نعم لكنها لا تزال في المغلف. لست مهتماً بالموضوع بيبر. لقد

www.elromancia.com

سئمت من هذه المسألة كلها.

حدّقت إليه طويلاً من دون أن تنبس ببنت شفة، ثم قالت أخيراً:

ـ يؤسفني سماع ذلك. فقد أحببت كاميلا فعلاً.

عرف أنها كانت تتوقع منه جواباً ولكنه رفض التكرم عليها به، وما من عذر منطقي يبرر تصرفاته. إلا أنه كان يعلم في عمق أعماقه أن التفكير في كاميلا وقراءة قصتها سيشعل أحاسيسه مجدداً. وقد سئم من هذا.

بيد أنه لم يتوقع أن تكون زوجة أخيه على مثل هذا الإصرار. وضعت بيبر الملعقة الخشبية جانباً، واستدارت لتواجهه بتعابير جديّة وعينين قلقتين: «كاميلا ليست مثل سوزان هيث. أنا واثقة من ذلك جونو».

لم يستطع التعليق. فحتى لو كانت بيبر محقة في ما تقول، لا يستطيع المخاطرة بكاميلا. لقد علم منذ اللحظة التي التقاها أنها خطيرة مسبّبة للإدمان.

وبالفعل اتضح أنها كذلك. فبعد أن عانقها ذلك اليوم، شعر بأنه يريد المزيد والمزيد.

لم يدرك كم من الوقت بقي صامتاً كالغبي في وسط مطبخ بيبر، لكنه سمع تنهيدتها القوية. ثم حملت صحوناً وملاعق عدة ووضعتها في يديه: «افعل شيئاً نافعاً وضع هذه على المائدة».

ثم لحقت به حاملة الحساء وما هي إلا لحظات حتى دخل غيب مع الخبز. قالت بيبر:

ـ كنت أقول لجونو إنه مجنون لعدم قراءة مقال كاميلا.

ارتفع حاجبا غيب بذهول: «لم تقرأه جونو؟ يجدر بك ذلك. فقد

قامت بعمل ممتاز».

أجاب جونو بفظاظة: «سمعت ذلك».

وعندما جلسوا حول المائدة، قال غيب: «لا، بصراحة لقد تأثرت بما كتبت».

وأضافت بيبر: «لا أعرف كيف تمكنت كاميلا من كتابة مقالها بكل واقعية وإضفاء الرومنسية عليه. إنها لامعة».

تدخل غيب قائلاً: «وتدبرت أيضاً أمر انسحابك من المباراة بكل مهارة».

ـ ماذا؟ لقد وفت بوعدها؟

ـ طبعاً. أظن أن هذا هو سبب المقال. كانت بحاجة لكتابة قصة تجعل القارئات المسكينات يتخطين فكرة خسارتك.

* * *

ـ كاميلا، معك سينتيا من غرفة الاستقبال. ثمة رجل هنا يسأل عنك.

تذمرت كاميلا على الهاتف. كان الوقت يداهمها وعليها أن تنهي المقال الذي تكتبه، وقد قاطعتها اتصالات كثيرة في فترة بعد الظهر.

ـ هل تعرفين ما يريد؟

سألتها كاميلا ذلك، واضعة السمّاعة بين أذنها وكتفها، لكي تتمكن من مواصلة عملها على شاشة الكمبيوتر أمامها.

ـ كلا.

ابتسمت كاميلا بارتياح. إن نقص خبرة سينتيا نعمة أحياناً.

ـ آسفة سينتيا، أنا منشغلة جداً. كان يجب أن أنهي هذا المقال في الصباح. لا يمكنني مقابلة أحد. فليترك رسالة أو يقابل شخصاً آخر.

www.elromancia.com

- حسناً.

- شكراً.

أقفلت كاميلا السماعة وتابعت عملها. لقد خطرت لها فكرة رائعة للتو تنهي بها المقطع الأخير.

وها إن وقع أقدام على السلالم يقطع عليها هدوءها مجدداً وما هي إلا لحظات حتى دخلت جين المكتب مسرعة.

- كاميلا. لا يمكنني أن أصدق أنك تركت راعي البقر يرحل.

- ماذا؟ ماذا قلت؟

- كان حبيبك الريفي في الأسفل يسأل عنك وقلتِ لسينتيا إنك لن تقابليه.

- جونو؟

يا إلهي! يا إلهي!

لقد أحسّت فجأة بأن أحد أسوأ كوابيسها يعود إليها.

- أتقصدين أن الرجل الذي اتصلت بي سينتيا من أجله كان جوناثان ريفرز؟ هل أنت واثقة؟ لِمَ لم تقل لي سينتيا ذلك؟

لم تقوَ على التفكير. جونو! وأخذ قلبها يخفق بقوة.

- أنت تعلمين مدى سذاجتها. كنت قادمة من عمل خارج المكتب عندما كان هو خارجاً. وعندما أدركت من هو فعلاً، كان الأوان قد فات، ركضت خلفه في الشارع لكنه اختفى.

شعرت كاميلا بأن أنفاسها بدأت تهدأ وبأن صوابها بدأ يعود إليها فقالت:

- بربك جين! من الجيد أنك لم تطارديه. ماذا كنت ستقولين له؟

- عزيزتي، عليك أن تكتشفي ذلك.

عادت كاميلا إلى شاشتها.

تمالكي نفسك يا فتاة! ما من شيء يدعو إلى كل هذه الإثارة. فلعله جاء إلى المدينة في عمل وعرّج ليقول لها إنه باع العجول.

ردّت على جين بابتسامة متوترة: «ما كان باستطاعتي رؤيته على أي حال. لقد داهمني الوقت في عملي. ولا يُفترض بي أن أغرق الآن في حديث معك».

هزت جين رأسها: «عزيزتي، ما من عمل مهم إلى هذا الحد. جونو ريفرز هو الأهم. ولا يجدر بك أن تديري ظهرك للأمور المهمة».

- كفى جين!

وراحت تحدق في الشاشة أمامها. تباً! لم تكتب بعد فقرتها النهائية اللامعة... على أي حال لم تعد تذكر كلمة واحدة منها.

* * *

كانت سينتيا تتهيأ للرحيل عندما نزلت كاميلا السلالم مهرولة بعد أن أرسلت مقالها بالبريد الإلكتروني إلى أحد مساعدي التحرير.

- سينتيا انتظري.

ترددت الفتاة مكانها ونظرت إلى الخلف.

- آسفة لتأخيرك ولكن ذلك الرجل الذي سأل عنّي...

ابتسمت سينتيا: «ذلك الوسيم؟».

- فهمت أنه جوناثان ريفرز. هل ترك رسالة ما؟

- أجل. ترك مغلفاً، وقد وضعته هناك في علبتك البريدية.

تحوّلت عينا كاميلا مباشرة إلى صندوق البريد في الطرف الآخر من الغرفة: «عظيم! شكراً جزيلاً».

أجابت سينتيا حائرة: «لا شكر على واجب».

www.elromancia.com

ثم هزت كتفيها وخرجت من المبنى، في حين راحت كاميلا تبحث في صندوق البريد.

كاد قلبها يتوقف عندما رأت اسمها مدوّناً بالخط الأسود العريض على أحد المغلفات. وحاولت أن تتذكر ما إذا كانت قد رأت خط جونو من قبل، فقد بدا لها هذا الخط مألوفاً.

بدا لها المغلف فارغاً وظنّت في البداية أنه خالٍ فعلاً لكن عندما دسّت يدها داخله، وجدت بطاقة.

بطاقة إلى دار الأوبرا.

كم هذا غريب! وتغضّن جبينها وهي تحدق إلى البطاقة الصغيرة. عرض لأوركسترا سيدني السمفونية! جونو والأوركسترا السمفونية؟ ثمة خطأ ما. ربما ارتكبت سينتيا غلطة ما، فبدّلت المغلفات. ولكن لم يكن هناك أي بريد آخر لها.

دسّت يدها مجدداً في المغلف علّها تجد رسالة ما، أو أي شيء يفسّر لها الأمر، لكنها لم تجد سوى البطاقة.

ماذا ستفعل بحق الله؟ العرض سيقدّم الليلة في قاعة الحفلات الرئيسية في دار الأوبرا. ليتها تحدثت إلى جونو!

ولكن جين بدت مقتنعة.

غاصت في أحد المقاعد وأخذت تحدّق إلى البطاقة. العرض يبدأ عند الساعة الثامنة. عليها أن تسرع إلى المنزل وتبدّل ملابسها لتتمكن من الوصول في الوقت المناسب إلى دار الأوبرا.

لكن هل تريد الذهاب؟ إنها لا تكره العروض الموسيقية لكنها لا تعرف حتى إن كان جونو سيحضر... ولكنه طبعاً لن يترك لها بطاقة لتذهب وحدها؟

كانت الأفكار تتزاحم في ذهنها وهي تحمل أغراضها وتخرج إلى الشارع. لما تشعر بالقلق؟ يمكن لأي شخص أن يترك لها بطاقة. فالمعلنون يرسلون دوماً بطاقات إلى مكاتب «حديث المرأة» وسينتيا لا تعرف شيئاً وجين لم ترَ جونو شخصياً من قبل، لذا يمكن أن تكون مخطئة. هذا جنون! إن قلبها ينبض بسرعة فيما يتصبب العرق من جبينها من أجل لا شيء.

ولكن ماذا لو كان فعلاً هنا؟ يا لفظاظته! كيف يجرؤ على الظهور هكذا من دون إشعار مسبق؟ لقد فعلت المستحيل لتكتب قصة تُخرجه من المسابقة، ولم يزعج نفسه ويرسل لها كلمة شكر. وفيما كان القطار يتّجه بها مسرعاً إلى منزلها، حاولت تهدئة نفسها والتفكير بعدم الذهاب. لقد تطلّب منها نسيانه عدة أشهر من الجهد البالغ.

ولكن بحق الله، ماذا هناك لتنساه؟ عناق واحد تمت مقاطعته؟ وإذا ذهبت الليلة، فسوف تتأجج مشاعرها مجدداً... من أجل لا شيء. لا شيء.

كانت عند عتبة منزلها عندما سمعت الهاتف يرن في الداخل، فأسرعت تبحث عن مفاتيحها بارتباك بالغ. استلزم منها فتح الباب مدة أطول بكثير من العادة، فتوقف رنين الهاتف في اللحظة التي كادت تصل فيها إليه.

تذمرت كاميلا ولكنها ما لبثت أن سمعت صوتاً عميقاً يتحدث على المجيب الصوتي: «كاميلا، أنا جونو ريفرز. آمل أن تكون البطاقة قد وصلتك. آسف على التأخير في إرسالها، وأخشى أنني منشغل حتى الثامنة تقريباً، لذا لن أتمكن من اصطحابك أو ترك رقم لتتصلي بي. هل يمكننا أن نلتقي في الردهة الرئيسية؟ آمل رؤيتك هناك».

سمعت كاميلا الرسالة الصوتية مرة أخرى. مجرد سماع صوته

www.elromancia.com

جعلها تشعر بالرغبة في البكاء. كان جونو فعلاً في سيدني. ماذا يجدر بها أن تفعل؟

لقد أمضت السنة الماضية وهي تنصح القارئات بإستراتيجيات للمواعدة وها هي الآن لا تعرف ماذا تفعل. الكلمة الأهم في معجم المواعدة الذي نقلته إلى قارئات «حديث المرأة» كانت كلمة «لا». لا تقبلي أبداً دعوات تتلقينها في اللحظة الأخيرة إذ يجب ألاّ تبدي وكأن ما من شيء لديك تفعلينه، أو أنك يائسة ومتحرقة للخروج معه.

لا يجدر بها طبعاً أن تذهب، ولن تفعل.

لم يكن جونو حتى مهتماً بما يكفي ليقرأ المقال الذي كتبته عن منطقة البراري.

سوف تبقى الليلة في المنزل، تشاهد التلفزيون وتتناول طعاماً جاهزاً. ولكن هذا سيزيد من إحباطها. عليها أن تغامر وتذهب.

توجهت إلى غرفة نومها منهكة القوى، كما لو أنها أمضت الساعات الماضية تواجه الأمواج العاتية. فتحت خزانتها بحثاً عن ثوب لائق وخُيل إليها وكأنها تشاهد كاميلا أخرى تقوم بكل هذا.

وبعد حيرة بالغة، اختارت فستاناً مخملياً أحمر اللون.

www.elromancia.com

٦ ـ يحيا الاختلاف

أي ردهة؟ لم تعتد كاميلا ارتياد دار الأوبرا في سيدني، ولم تكتشف وجود أكثر من ردهة إلاّ عندما وصلت إلى هناك. وافترضت أن جونو لا يعلم أن دار الأوبرا كبيرة إلى هذا الحدّ، وإلاّ لاقترح عليها مكاناً أكثر دقة يلتقيان فيه. فالردهة الشمالية وحدها مقسّمة إلى عدة أقسام فهناك غرفة الاستعلامات وهذه القاعة الرائعة.

وقفت كاميلا في أعلى السلالم المكسوّة بالسجاد الأرجواني وراحت تتفحص حشد المشاهدين الذين تجمّعوا هناك للمحادثة والضحك. توقعت أن تجد جونو بسهولة، فقامته الطويلة ستبرز بين الحشد، لكنها لم تستطع العثور عليه بين هذا الحشد من الرجال الممشوقي القوام الذين يرتدون جميعاً البذلات السوداء المتشابهة.

وخطرت لها فجأة فكرة، فسارعت تضع يدها على فمها. إنها على الأرجح تنظر إلى الأشخاص غير المناسبين، فجونو لا يملك على الأرجح ثياباً رسمية وربما عليها أن تبحث عمن يرتدي بنطلون جينز وجزمة.

ألقت نظرة على ساعتها. إنها الثامنة إلا عشر دقائق، وعلى المشاهدين الدخول إلى قاعة العرض.

هل تاه جونو في المدينة؟ فحتى هي لا تزال تتوه أحياناً.

أو... ربما كل هذا مجرد مزحة.

هل يمكن أن يفعل جونو أمراً مماثلاً؟ أما زال غاضباً منها؟

في خضم ذعرها، خطر لكاميلا أنه ربما سئم من انتظارها هنا واحتل مقعده في القاعة. لا بد أن هذا ما حصل. تفحّصت بطاقتها مجدداً وأسرعت إلى الداخل ولكن مقعديهما كانا خاليين. وعندما توجهت إلى المخرج، نظرت إليها امرأة وقالت ببرودة:

ـ عليك أن تأخذي مكانك قريباً وإلا فلن يُسمح لك بالعودة إلى هنا. سوف تضطرين لمشاهدة العرض عبر الشاشة في الردهة الجنوبية إلى أن ينتهي الفصل الأول.

ـ ولكنني لا أعرف ماذا أفعل. أنا أنتظر شخصاً.

كانت كاميلا على وشك البكاء. فالأمسية برمتها غريبة. أولاً، تلقّت صدمة حضور جونو إلى المكتب، ثم ذلك المغلف العجيب، وبعدئذ عدم إدراكه على الهاتف... وقرارها المجيء إلى هنا والآن هذا.

عادت أدراجها وفتحت أحد الأبواب الرئيسية المطلة على الخارج. من هناك استطاعت رؤية الناس يسرعون لدخول المسرح وعلى يمينها كانت الأضواء تتلألأ كعقد من الماس حول مرفأ سيدني.

لمن الرائع أن تتأمل هذه المشاهد مع جونو!

هراء! كان مجيئها ضرباً من الجنون. كان عليها أن تتبع حدسها وتبقى في المنزل تأكل النودلز وتشاهد التلفزيون.

وإذ استدارت نحو الردهة المضاءة، رأت رجلاً طويل القامة يتوجه إلى القاعة في الوقت الذي كانت فيه الأبواب تُقفل. قفز قلبها: جونو!.

وأسرعت نحوه لكنه لم يسمعها.

ـ جونو!

راحت تلوح له علها تلفت انتباهه لكنه لم ينظر ناحيتها، وكل ما استطاعت أن تلمحه كان الابتسامة التي بادر بها عاملة الاستقبال التي رافقته إلى داخل المسرح.

وكادت كاميلا تصل إلى الباب عندما انغلق هذا الأخير بصوت حاد.

ـ دعوني أدخل!

حبست كاميلا دموع الإحباط في عينيها وهي تحاول فتح الباب، من دون نتيجة.

شق جونو طريقه عبر ممرّ المسرح المظلم، وعندما كاد يصل إلى مكانه لاحظ المقعدين الأحمرين الشاغرين.

استدار إلى الخلف فرأى الأبواب خلفه موصدة.

صرخ أحدهم متذمراً: «هل يمكنك أن تأخذ مكانك من فضلك؟».

خطر له للحظة أن يهبّ خارجاً من المسرح. لكن، من غير اللائق أن يطلب الخروج الآن وقد أطلّ قائد الأوركسترا على خشبة المسرح.

صرف بأسنانه. لقد وقع في فخ نصبه بنفسه. ذلك الاجتماع مع مجلس مربيّ الماشية تأخر كثيراً ولم يترك له أي وقت لمقابلة كاميلا في الردهة لكنه افترض أنها جلست في مقعدها الآن.

طبعاً لقد غامر كثيراً باعتقاده أساساً أنها قد تأتي. فلا بد أن لديها ألف سبب وسبب وجيه يحول دون مجيئها، وألف مشروع تقوم به الليلة عوضاً عن الخروج في موعد مفاجىء مع رجل ريفي لم تره منذ أشهر.

على الأرجح لديها موعد مع صديق ما، ولا بد أن أصدقاءها كثر.

ما كان عليه أن يصغي إلى بيبر وغيب، كما ما كان عليه أن يقرأ مقال كاميلا عن الزواج في البراري ويعيد قراءته إلى أن شعر بأنها تكلّمه

من خلال مقالها.

لقد انجرف وراء أفكاره، مفكراً بأنه يسمع صوتها وهو يقرأ مقالها ويرى ابتسامتها ويشعر ببشرتها.

انسابت الموسيقى عذبة من حوله وشعر بمشاعر الحنين تتأجج داخله فأطلق تنهيدة عميقة أثارت انزعاج الشخص الجالس إلى جانبه. مجرد ساعة وينتهي القسم الأول.

* * *

وضع النادل قائمة المشروبات أمام كاميلا: «ماذا يمكنني أن أقدّم لك؟».

تفحّصت كاميلا القائمة بسرعة وقالت له بابتسامة حزينة:

ـ أعجبني اسم أحد المشروبات المدوّنة هنا.

ـ ما هو؟

ـ راعي البقر القذر.

ابتسم مجيباً: «نظراً للطريقة التي استخدمتها في قول ذلك، يبدو أنك تعرفين واحداً أو اثنين من رعاة البقر».

ـ أعرف واحداً فقط. وصدّقني واحد يكفي.

تابع النادل أسئلته بينما كان يحضر لها المشروب: «هل وصلتِ متأخرة إلى العرض؟».

تنهدّت: «كلا، لست أنا من تأخر إنما راعي البقر. هو يستمتع الآن في الداخل بينما أنا عالقة هنا».

ـ بدأت أفهم. يبدو الأمر منطقياً الآن.

هزت كاميلا رأسها: «لا، ليس منطقياً على الإطلاق. ولكن لا تقلق، لا شيء منطقي الليلة».

وضع المشروب أمامها مستفسراً:

ـ هل تعلمين أن بإمكانك مشاهدة العرض من الردهة الجنوبية؟

ـ نعم.

ارتشفت القليل من مشروبها: «إنه لذيذ».

ابتسم النادل:

ـ استرخي واستمتعي عزيزتي. ولا تقلقي فقد سمعت أن الجزء الثاني من الحفل أفضل من الأول.

عندما حان موعد الفاصل الأول وخرج جونو إلى المقهى، لم يستطع سلخ نظراته عن المرأة الجالسة هناك في الزاوية.

كان فستانها المخملي الأحمر يكشف عن ظهر فاتح البشرة جميل المظهر. وما هي إلا لحظات حتى أدرك أنه يعرف صاحبة الفستان.

ـ كاميلا!

استدارت بسرعة بحيث كاد الشراب يقع من يدها.

كان شعرها قد ازداد طولاً ووصلت خصلاته إلى كتفيها تقريباً، وبدت له خارقة الجمال. احمرّت وجنتاها قليلاً: «جونو. تسعدني رؤيتك».

ـ لقد أتيتِ!

في الواقع، ذُهل جونو للسعادة التي غمرته لدى رؤيتها مجدداً بعد كل تلك الأشهر.

ألقت نظرة متوترة على الحشد الذي بدأ يملأ أرجاء المقهى وسألته: «هل حان وقت الفاصل؟».

اقترب منها وهو يجيب: «أجل. كم مضى على وجودك هنا؟».

ـ دهور.

www.elromancia.com

ـ أنا آسف لعدم تمكني من المجيء قبل بدء العرض ولكنني تأخرت في اجتماع مربي الماشية.

أكمل وهو يمدّ يده إلى ذراعها: «لم أكن واثقاً من أنك ستأتين».

ـ ولا أنا.

أخفضت نظرها إلى يده التي تلامس ذراعها وابتسمت له من بين أهدابها الكثيفة:

ـ حتى الآن لا أعرف لماذا أتيت.

ثم رفعت عينيها ببطء وحدقت إليه بجرأة ظنّ معها أنها ستسأله لما ظهر فجأة في سيدني ولما دعاها إلى هذا الحفل، ولكنه أمل ألاّ تطرح عليه هذه الأسئلة، فقد يخيفها لو أجابها.

ـ ماذا تشربين؟

ـ إنه «راعي البقر القذر» على شرفك جونو.

ظهر النادل من خلفها وأخذ يتفحص جونو من رأسه حتى أخمص قدميه، مطلقاً صفيراً حاداً:

ـ هل هذا هو رجلك عزيزتي؟

احمرّت كاميلا: «ليس بالضبط رجلي».

أخذ جونو الكأس منها ووضعه على الطاولة: «ربما يجدر بنا أن نعود إلى الداخل».

تنهدت: «أفترض أنك تودّ الاستماع إلى النصف الثاني من الحفل».

ـ إنه الجزء الأفضل.

ـ هذا ما سمعته. بالمناسبة، لم أكن أعلم أنك تحب الموسيقى الكلاسيكية.

ـ أحد أصدقائي يعزف الليلة وقد أرسل لي البطاقتين.

ارتفع حاجباها دهشة: «آه! لهذا السبب جئت إذاً إلى سيدني».

ـ جزئياً. فقد كان لدي عمل أيضاً...

بدت منزعجة بعض الشيء من إجابته، فتقدّمته ببضع خطوات.

ـ كاميلا.

استدارت نحوه.

ـ لم أقل لك كم تبدين جميلة الليلة. تبدين رائعة!

ولم يخفَ عنه الاحمرار الذي غزا وجنتيها. ابتسمت بخجل وألقت نظرة إعجاب على ثيابه: «شكراً، وأنت أيضاً».

في الواقع كان في وصفها سوء تقدير، فهو لا يبدو رائعاً فقط بل مذهلاً.

في الريف، كان يبدو وسيماً في قميص قطني، ولكن في البذلة الرسمية التي يرتديها الليلة، كلمة مذهل هي أقلّ ما يمكن قوله فيه، وودّت كاميلا لو تحدّق به إلى ما لا نهاية.

وابتسامته! يا لها من ابتسامة! كيف تدّعي أنها لا تعرف لماذا أتت؟

لقد شعرت بتيار كهربائي يسري في جسمها لمجرد السير معه إلى المسرح والجلوس إلى جانبه.

ولكن لِمَ دعاها؟ هل هذا موعد أم أنه أراد بكل بساطة أن يُرى برفقة إحداهنّ؟

عندما أطل أعضاء فرقة الأوركسترا على المسرح وأخذ كل منهم مكانه، همست في أذنه: «أيّ منهم صديقك؟».

مال جونو نحوها بما يكفي لتمتلىء خياشيمه بعطرها: «لم يطل بعد. إنه العازف المنفرد».

اتسعت عيناها: «آه! لقد فاجأتني».

www.elromancia.com

لم تنظر إلى البرنامج، لذا لم يكن لديها فكرة عن هوية العازف المنفرد. كانت على وشك أن تسأل جونو على أي آلة يعزف صديقه حين خفتت الأنوار فجأة وتعالى التصفيق مع دخول قائد الأوركسترا إلى خشبة المسرح وخلفه رجل طويل القامة يحمل بوقاً أسترالياً تقليدياً.

رمقت كاميلا جونو بنظرة جانبية مليئة بالدهشة، فابتسم لها وغمز بعينيه.

مهما كان ما توقعته كاميلا عند حضورها إلى دار الأوبرا، فهي لم تفكر مطلقاً بأنها ستشهد تجربة موسيقية فريدة. ولكن منذ اللحظة التي ظهر فيها عازف البوق على المسرح، سُلب قلبها.

عندما تعالت الموسيقى، أحسّت كاميلا بأنها انتقلت إلى عالم آخر وزمن آخر وحضارة أخرى. لقد أسرتها الموسيقى وسببت لها القشعريرة، فعلقت الدموع في مقلتيها. بدا لها وكأن ذكريات البراري النائية حاضرة وسط سيدني العصرية. وجونو! إنه كالموسيقى، آتٍ من عالم آخر. وتذكرت كاميلا فجأة الشعور بالانتماء الذي أحست به عندما كانت في إيدنفايل.

ظنت لحظة أنها مغرمة به ولكنها أملت ألاّ يكون ذلك صحيحاً. عندما غادرا قاعة الاحتفال، كانت مشاعر كاميلا مختلطة بشكل شعرت معه أنها على وشك الانهيار.

قالت مخطوفة الأنفاس: «كان ذلك ساحراً».

ـ بالفعل. يسرّني أنك تمكنتِ من المجيء.

ـ منذ متى تعرف عازف البوق؟

ـ وليام تودمارا؟ منذ كنا طفلين. عملت أسرته على مدى ثلاثة أجيال في تربية الماشية في إيدنفايل. وعندما وعينا لموهبة بيلي شجعناه على الانخراط في عالم الفن، ورعينا حفلاته.

ـ هذا رائع!

ماذا كان جونو ليظن لو عرف أنها اعتقدت بأنه قد لا يعرف ماذا يرتدي إلى دار الأوبرا؟ يا إلهي! إنه أحد الراعين لأعمال ذلك العازف المنفرد.

ـ هل ستذهب إلى الكواليس لتهنىء صديقك؟

ـ لقد تحدثت إلى بيلي هذا الصباح بعد تمرينه. سأتصل به في الغد، فالليلة لن يلاحظ وجودنا مع كل الحشد الذي سيقابله بعد الاحتفال.

ـ أرجوك اشكره على بطاقتي. لقد أحببت عزفه. إنه رائع!

ـ سأخبره بذلك.

أمسك يدها بيده وخرج معها إلى ظلام الليل في الخارج حيث همس في أذنها:

ـ ما رأيك أن نتسلل معاً ونمضي بقية السهرة بمفردنا؟

ابتلعت كاميلا ريقها بصعوبة. وحاولت أن تتذكر كل الأسباب التي تجعلها تحذر من جونو. افتراقهما المرير وأشهر الصمت الطويلة...

ذكّرت نفسها بمدى خطورته. فهي بالكاد تعرفه ومع ذلك هيمن على مشاعرها وكيانها، وهذا أمر مخيف. لقد عانقها مرّة فسحرها لئلا تنساه أبداً.

وها إن الأمر يتكرر. لعل السبب عائد لمدة الانتظار أو لتلك الموسيقى المذهلة... لا يمكنها أن تعرف. وبدا لها الرد الوحيد على اقتراحه اقتراحاً آخر.

ـ ما رأيك لو نذهب إلى منزلي؟

ـ بكل سرور.

بالكاد تكلّما في سيارة الأجرة التي أقلّتهما عبر الشوارع المظلمة.

www.elromancia.com

وكان التوتر سيّد الموقف. راحت كاميلا تسترق النظر إلى جونو بين الحين والآخر. وفي كل مرة كانت تراه فيها، كان قلبها يخفق بقوة. إنها برفقة جونو ريفرز، أكثر الرجال وسامة.

توقفت السيارة أمام شقة كاميلا ودفع جونو للسائق أجرته بينما راح قلبها هي يثب من صدرها وهي تبحث عن المفاتيح في حقيبة يدها.

عندما دخلا شقتها، لم تزعج نفسها حتى بتقديم القهوة له. بالكاد وضعت حقيبتها ومفاتيحها على مائدة المطبخ واستدارت حتى وجدت جونو خلفها مباشرة مادّاً ذراعيه إليها، أما هي فهرعت إلى ذراعيه المفتوحتين صارخة بسعادة وعجز.

تمتم هامساً: «لا يمكنك أن تتصوري كم تمنيت هذا».

ـ وأنا أيضاً.

أوَلَم تحلم طيلة أشهر بما عساه يكون شعورها لو ضمّها إليه مجدداً؟

وها هو الآن يتكىء إلى خزائن مطبخها، ويجذبها نحوه ليضمها بين ذراعيه القويتين.

كيف عساها تفكر بصحة ما تفعله فهي لا تستطيع التفكير في المستقبل أو فيما قد يعنيه هذا طالما انها تتحول إلى سائل ذائب بين ذراعيه.

همس في أذنها بصوت مثير أشعل النار في عروقها: «أريدك».

أرادت أن تقول له: وأنا أيضاً، لكن الكلمات لم تخرج من فمها، فاكتفت بإظهار ذلك بالفعل وليس بالقول فشدّدت من احتضانه.

كانت مستسلمة لدفء نظراته ورقة لمساته وعذوبة كلماته وسحر ابتساماته. كانت يداه تطوفان على شعرها اللامع مشعلة في كيانها كل ذرّة.

فكر جونو في أن ما يشعر به تجاهها هو أقوى من أي شعور احس به يوماً تجاه أية امرأة، هذا الشعور الممزوج بالرقة والعذوبة الذي يكاد يصل الى حد الألم.

تململت كاميلا بين ذراعيه بعد فترة وقالت له: «عليّ أن أذهب الآن، فغداً عندي عمل كثير ولا يمكنني أن أتاخر بالسهر».

فقال: «لا تذهبي إلى العمل غداً».

ـ ليتني أستطيع ذلك ولكن أمامي أسبوع حافل فقد تأخرت كثيراً في إنجاز أعمالي.

ـ يا إلهي ليتك تعرفين ما يفعله قربك بي!

ضحكت ثم ابتعدت عنه واستعدت للرحيل فيما كانت نظراته تراقبها ووميض مثير يلمع في عينيه. وعندما رحلت أحس بانزعاج يعتصر قلبه ومعدته.

* * *

التقيا في اليوم التالي عند الغداء في مطعم قرب المرفأ تشرف واجهاته الزجاجية على مجموعة من السفن الشراعية والزوارق الراسية في المياه الزرقاء المتلألئة.

عندما جلسا إلى المائدة، قالت كاميلا:

ـ زميلتي جين عرفت أننا سنلتقي وهي مصرّة على أنني أخرجتك من مشروع العازبين لأستبقيك لنفسي.

ابتسم جونو: «هذا صحيح، أليس كذلك؟».

احمرّت وجنتاها فأشاحت بنظرها إلى البعيد:

ـ أنت تعلم أن هذه لم تكن خطتي في ذلك الحين.

وسرّها أنه لم يسألها عن خطتها الآن لأنها ما كانت لتجيب. ففي

www.elromancia.com

الواقع ليس لديها خطة. كل ما تعرفه هو أن جونو ظهر فجأة في حياتها وقد وقعت في حبه بسرعة.. بعمق.. وبقوة.

كان القلق يتنامى داخلها طيلة فترة الصباح. فهي تخشى الإيقاع بجونو، لأنه يظن أنهما قد يؤسسان لمستقبل ما.

ولكن أي نوع من المستقبل ينتظرهما؟ بدا كل شيء رومنسياً الليلة الماضية. وكأن اختلافاتهما يمكن أن تندمج كالموسيقى. ولكن هذا الأمر يبدو في وضح النهار بعيد المنال.

لقد رأت من أين يأتي جونو. رأت أرضه والبيئة التي ترعرع فيها. ورأت عائلته، غيب وبيبر، ورأت حبه لولدي أخيه. ربما يبدو كالقرصان، لكنه في العمق رقيق ويحب الزواج والعائلة، رغم رفضه المشاركة في مشروع العازبين. بينما هي...

جاء النادل ليسجل طلباتهما وعندما غادر، سألها جونو:

ـ كنت أتساءل عن عائلتك. هل تعيش في سيدني؟

ترددت قليلاً وقد تفاجأت بمدى تواتر الأفكار بينهما. فقال: «آسف إن كان سؤالي متطفلاً لكنك تعرفين كل شيء عني وعن عائلتي ورأيت المكان الذي وُلدت وترعرعت فيه طيلة حياتي».

ـ لا، لست متطفلاً جونو. إنه سؤال عادي ومنطقي يسأله الناس. ولكن... في الواقع ليس لدي عائلة طبيعية.

ـ آه فهمت!

وتغضّنت بشرته حول عينيه وهو يضيف مبتسماً:

ـ إذاً لا يمكنك حتى أن تتصوري في أي نظام شمسي يعيشون؟

ضحكت كاميلا: «حسناً لقد ربحت. أنا ووالداي مشتتون جداً. أنا أعيش بمفردي في سيدني. أمي في طوكيو وأبي في باريس على ما

أظن».

ـ على ما تظنين؟

بدا مصدوماً.

ـ في الواقع أبي يعيش في باريس. ولكن في آخر مرة تحدثّت فيها إليه، علمت أنه يهتم بقصر أحدهم في مكان ما في وادي «لوار».

ـ أفترض أن الاهتمام بالقصور أهم من الاهتمام بالأولاد.

ابتسمت: «كان يهتم بقصر أحد أصدقائه. إنه مصمم رقص أو مؤلف موسيقي... نسيت. على أي حال، كان ذلك منذ ستة أشهر. لذا أظن أنه عاد الآن إلى باريس».

رفعا كأسيهما وتشابكت نظراتهما، فسألت كاميلا: «نخب ماذا نشرب؟».

وما لبثت أن ندمت على سؤالها. بدت عينا جونو وكأنهما تقرآن ما في أعماقها. فقال مبتسماً:

ـ لنشرب نخب ارتفاع سعر الماشية لكي تتمكني من جني بعض الربح من بيع عجولك.

صححت له قائلة: «لكي نتمكن من جني بعض الربح من عجولنا. أنسيت أننا سنتقاسم الأرباح مناصفة؟».

ـ حسناً، نخب عجولنا إذاً.

أضاف: «أخشى أن أسعار الماشية لم تكن مرتفعة مؤخراً. لهذا السبب لم أقم ببيعها. ولن تتحمسي كثيراً للمبلغ الذي ستجنينه منها».

ـ يكفيني أن أحصل على ثمن بطاقة إلى باريس.

ـ لزيارة والدك؟

ـ أجل. آمل أن أتمكن من السفر الشهر المقبل.

www.elromancia.com

ـ إذاً، يجدر بنا أن نطرح العجول في السوق عمّا قريب.

أخذت كاميلا رشفة من العصير تهدىء بها أعصابها. لماذا إطلاع جونو على سفرها، وإن لفترة قصيرة، جعلها تشعرها بالانزعاج؟

ـ هل قلت إن والدتك تعيش في اليابان؟

ـ هذا صحيح. إنها تعمل كمديرة فنية لمؤسسة رقص عصرية في طوكيو.

ـ هذا يفسر الأمر.

ـ يفسّر ماذا؟

ـ لِما تبدين غير عادية. فوالداك فنانان.

هزت كتفيها مبتسمة: «وأنت أيضاً غير عادي».

ـ أخبريني عن والديك.

ـ أمي تدعى لاين سوليفان وأبي فابريس دوفيرو، وكلاهما راقص باليه. كانا في السابق شهيرين ولكن لا أظن أنك سمعت بهما.

ـ لا أظن ذلك.

ـ أمي أسترالية وأبي فرنسي ولكنهما رقصا معاً في كل أنحاء العالم. كانا يرقصان بتناغم كلّي، على عكس حياتهما الشخصية، حيث كانا يتشاجران طيلة الوقت.

ـ هل افترقا؟

ـ افترقا عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري ولكنهما لم يتطلّقا بشكل رسمي.

ـ لا أظن أن الأمر كان سهلاً عليك.

أطلقت تنهيدة عميقة: «لا، يمكنك أن ترى جلياً أن عائلتي مختلفة تماماً عن عائلتك».

رفع كأسه مبتسماً:

ـ فليحيا الاختلاف! مشكلة العيش في الريف عائدة بمعظمها إلى أن الجميع تقريباً يتمتع بالخبرات نفسها. نولد ونترعرع في القرية ثم نبتعد قليلاً لعدة سنوات لتابع الدراسة الثانوية وربما الجامعية. وقد نسافر أحياناً ولكننا نعود في النهاية لنعمل في أرضنا. كل هذا ممل. غيب كان مختلفاً، لقد غاب سبع سنوات ليدرس الطيران... ولكن ليس بيننا فنانين.

ابتسمت كاميلا: «ثمة ناحية جيدة في «الملل» فهو يعني الأمان. غالباً ما تساءلتُ إن كانت مشكلة والديّ هي كثرة أسفارهما. لم يكن في حياتهما أيّ حسّ بالدوام والاستمرار».

قدّم النادل الطعام فانصرف إلى تناول السمك المدخّن الذي طلباه والتحدث عن الحفلة الموسيقية التي حضراها في الليلة السابقة وعن صداقة جونو بعازف البوق بيلي.

ـ سوف يذهب إلى نيويورك ليحيي حفلة الشهر القادم.

ثم نظر إليها مفكراً: «هل كنت ترافقين والديك في جولاتهما؟».

ـ أجل عندما كنت صغيرة وقبل أن أذهب إلى المدرسة الداخلية. سافرت حول العالم ولكن كل ما أذكره هو الانتقال من فندق إلى آخر.

وضع سكينته وشوكته وهزّ رأسه وهو ينظر إليها: «أحاول أن أتصور كيف كنتِ في طفولتك. كاميلا الصغيرة ذات العينين السوداوين الكبيرتين والشعر الداكن الأجعد، جالسة في كل الطائرات ومتجولة في غرف الفنادق...».

ـ لقد تعلمت أن أطلب خدمة الغرف قبل أن أبلغ عامي الخامس.

ـ ولكنك كنت وحيدة؟

www.elromancia.com

أجل هذا صحيح. ولكنها قالت:

ـ لقد تصادقت مع موظفي الفنادق وبعض من طاقم الكواليس. كان عامل الإضاءة المفضل لديّ. إذ اعتاد أن يدعني أجلس قربه أثناء التمارين وكان يسمح لي بإضاءة أحد الأزرار.

استندت إلى الخلف، واضعة يديها في حضنها ومحدّقة إليه ذاهلة لكثرة ما تفوهت به. فهي لم تُفضِ بمكنونات قلبها بهذا الشكل لأحد من قبل.

ـ هل أردتِ يوماً حياة مختلفة؟

ـ بالتأكيد. كنت أحسد الأولاد العاديين. هل تعرف بماذا كنت أحلم؟

ـ أخبريني.

ـ أن يكون لدينا منزل وحديقة لكي ألعب مع أحدهم بخرطوم المياه.

ضحك بينما تابعت هي قائلة: «أذكر أنني كنت ذات مرة في سيارة أجرة مع والديّ متجهين إلى أحد الفنادق، وعندما مررنا بضواحي نيو أورليانز رأيت أطفالاً يلعبون في فناء منزلهم. كانوا يرتدون ثياب السباحة ويرشّون بعضهم بالمياه. كان ذلك أكثر الأمور التي رأيتها متعةً».

مال جونو نحوها وأمسك بيدها: «هذا حلم أرغب في تحقيقه معك».

كان صوته خفيضاً مثيراً وابتسامته مدمّرة. سألته هامسة، مقطوعة الأنفاس: «كيف؟».

ـ انتظري لتري.

كانت جين تتحرق فضولاً عندما دخلت كاميلا المكتب: «ها أنت أخيراً!».

ـ لم أتأخر سوى عشر دقائق.

ـ تبدين مشعّة كأي امرأة قامت للتوّ...

قاطعتها كاميلا بسرعة: «بالأكل. كنت أتناول السمك في مطعم «سيرو»».

ـ موعد آخر مع رجل البراري؟

ـ أجل ولكن لا تسترسلي كثيراً في أفكارك.

ـ لم لا؟ من غير العادي أن يجعل تشاطر الغداء وجه المرأة يشعّ بهذا الشكل.

ـ كفى!

ـ جونو ريفرز رائع، أليس كذلك؟

ـ نوعاً ما.

ـ لا تقولي لي إنك وجدت فيه الكثير من السيئات.

ـ لا إطلاقاً.

ـ أنتما متلائمان، أليس كذلك؟

ـ أجل، متلائمان جداً.

ـ ما المشكلة إذاً؟

ـ ما من مشكلة فعلاً.

ـ إذاً؟

تنهدت كاميلا: «أخشى أن أؤذيه».

جلست جين عند حافة مكتب كاميلا وحدّقت إليها:

ـ ولِمَ قد تفعلين هذا؟

www.elromancia.com

ـ جين أنا منجذبة إليه ولكن لا أظن أنني مناسبة له. إنه رجل ريفي ذو قيم ومبادىء قديمة الطراز.

ـ وأنت لست من النوع المتحرر جداً كاميلا... أتعرفين ما هي مشكلتك؟

ـ سوف تخبرينني، أليس كذلك؟

ـ طبعاً. انظري إلى الطريقة التي تواعدين فيها الشبان منذ عرفتك. أنت تسعين وراء الخروج مع رجال متأنقين، إنما باردين لا يجعلونك تقعين في حبهم. ولكن هذه المرة، تخطيت هذه المسألة.

حدقت كاميلا إلى صديقتها متفاجئة: «منذ متى أصبحت دقيقة الملاحظة إلى هذا الحد؟».

هزت جين كتفيها مبتسمة: «لقد قرأت مقالاتك عن استراتيجيات المواعدة».

ثم دنت منها أكثر وطوّقت كتفيها بذراعها المطمئنة.

ـ بصراحة ميلي، ممّا أنت قلقة؟ أتظنين أنّ جونو بعد أن قرأ مقالك عن الزواج في البراري، سوف يتوقع منك أن تدفني نفسك في الريف لتنجبي له أطفالاً؟

غطّت كاميلا وجهها بيديها المرتجفتين. هذا بالضبط ما يقلقها.

سألتها جين: «هل تحدثت معه في هذا الشأن؟».

أخفضت كاميلا يديها وتشابكت نظراتها بنظرات جين ثم قالت بعزم:

ـ لا، ولكني سأفعل. سوف يرحل في الغد، لذا سأكلمه الليلة بالذات.

٧ ـ كيف أنساه؟

حدّث جونو نفسه بأن يهدأ، وهو واقف أمام الفندق الذي ينزل فيه، متأملاً كاميلا تتجه نحوه.

كانت أشعة شمس المغيب تنعكس على خصلات شعرها الداكن، وقد بدت في قميصها الأسود الضيّق وتنورتها القصيرة الحمراء أشبه بزهرة برّية نادرة.

عندما وصلت إليه، عبقت خياشيمه بعطرها المسكر فتملكته رغبة جامحة في احتضانها.

إهدأ جونو، إهدأ!

سألته: «ما المشروع لهذه الليلة؟».

ـ فكّرت في أن نتناول العشاء في غرفتي في الفندق.

أجابت بعد لحظة من التردد: «حسناً، سيكون هذا جيداً من باب التغيير».

كانا بمفردهما في المصعد المتجه بهما إلى الطابق الثامن، ولم يستطع جونو أن يقاوم رغبته في لمسها، فأدناها منه وعانقها. بادلته مبادرته هذه بعناق عذب.

وعندما دخلا إلى غرفته، دنت منه مجدداً واحتضنته بقوة.

كاميلا... كاميلا...

لا يجدر بها أن تعانقه هكذا. كان من المفترض بها أن تقاوم

www.elromancia.com

سحره. فعندما غادرت عملها، كانت مصممة على فتح حديث معه حول مستقبل علاقتهما. ولكن جونو كان يقضي على كل خططها ويبددها في الهواء. عرفت ذلك منذ اللحظة التي رأته فيها، فقد بدا ساحراً جداً وهو ينتظرها والهواء يتلاعب بشعره، والابتسامة التي بادرها بها لم تسهّل الأمور إطلاقاً.

أمسك بمعصميها بيديه الحديديتين.

ـ جونو!

خفت صوتها في البداية، ثم ماتت الكلمات على شفتيها.

ـ كاميلا، أودّ أن أحقق كل أحلامك.

أفلتت كاميلا يديها من قبضتيه.

كان من المستحيل مقاومة سحره، ومقاومة تينك العينين الثاقبتين اللتين تسبران أغوارها.

ولكن يجب أن تفعل هذا...

تناولا العشاء الذي طلبته كاميلا من خدمة الغرف وتكلما طويلاً عن باريس وأخبرها جونو عن مقهى مذهل اكتشفه في «مونمارتر».

قال لها: «ذلك المكان يعبق بالجو الفرنسي الأصيل. سقف منخفض وطاولات تعلوها الشراشف الحمراء والبيضاء ودخان السجائر يملأ الجو. عازف بيانو يعزف في الركن بعض الألحان الرومنسية. الأفضل من كل هذا هي الرسائل المعلّقة على الجدران».

ـ أي نوع من الرسائل؟

ـ بطاقات بريدية، رسائل غرام، رسومات، نكات... معظمها من السيّاح.

ـ متى ذهبت إلى باريس؟ يبدو أنك متشبع بالجو الفرنسي.

ـ سافرت إلى هناك عندما كنت في الواحدة والعشرين من عمري. أمضيت اثني عشر شهراً أجول في أرجاء أوروبا. ولكنني عدت إلى هناك السنة الماضية أيضاً.

ـ ذهبت إلى باريس مرتين؟

حاول عدم إظهار انزعاجه من ذهولها الذي أكّد أنها لا تزال تعتبره رجلاً ريفياً متخلفاً.

بعدئذ قلّ الحديث وتساءل جونو عمّا إذا كانت كاميلا تشعر بنفس الإحساس بالثقل الذي يتملكه والذي يقضي على كل محاولاته للتخفيف من التوتر. كان غموض المستقبل يرمي بظلاله على علاقتهما. فكثيرة هي الأشياء التي لم تُقل وأكثر هي الأسئلة التي لم تُطرح.

عندما انتهيا من تناول الطعام، وضعت كاميلا الأطباق الفارغة جانباً واتجهت إلى النافذة حيث وقفت لحظات تتأمل ظلمة الليل التي أسدلت ستارها على المدينة. وعندما استدارت نحوه، خُيّل إليه أنه رأى بريق الدموع في عينيها، والتوتر على ملامحها. قالت:

ـ جونو. غداً تعود إلى مولينجيم وعلينا أن نتكلم.

ـ طبعاً.

جلس جونو على أحد المقاعد، غير أن كاميلا لم تتحرك وبقيت واقفة عند النافذة.

ـ أخشى أن تكون قد أخذت فكرة خاطئة عني.

ـ من أين أتيتِ بهذه الفكرة؟

ـ جونو! لا أعرف كيف أقول ذلك ولكن لا يجدر بنا أن نبقى على

www.elromancia.com

اتصال ببعضنا بعد عودتك إلى ديارك.

ـ ولم لا؟

ـ لستُ المرأة المناسبة لك.

شعر بأحشائه تتجمد ولكنه جاهد لإخراج الكلمات رغم الجبل الجليدي الذي تكوّن في حنجرته.

ـ ماذا لو كنت أظن العكس؟

هزت رأسها مستفسرة: «كيف أكون ملائمة لك؟».

ـ كاميلا، هذه كلها تفاهات. تعالي إلى هنا.

ـ لا!

صرخت بذلك، مبعدة يديها إلى الخلف كي تصده.

ـ إذا عانقتني، فسأنسى ما أحاول قوله.

ـ ألا يؤكد لك ذلك أننا ملائمان جداً لبعضنا؟

ـ لست أدري. لا أظن ذلك. ما أحاول قوله أكثر تعقيداً من ذلك. أنا واثقة من أنك تدرك مدى انجذابي إليك، ولا أظن أنك تعتبرني علاقة عابرة، إلى أن تعود إلى ديارك.

لم يُجب وانتظر أن تتابع حديثها.

ـ ولكننا نعيش على بعد آلاف الكيلومترات عن بعضنا.

ـ يمكن للطائرات أن تقصّر أبعد المسافات.

ـ ولكن اجتياز المسافات لن يكون مجدياً إلاّ إذا فكرنا بأن لنا مستقبلاً معاً.

ـ وأنت لا تظنين ذلك؟

ـ قلت لك عندما التقينا للمرة الأولى إنني لا أؤمن بالزواج.

ـ ومن أتى على ذكر الزواج؟ إذا كنتِ لا تريدينه، فأنا أيضاً لا

أريده.

رمقته بنظرة حادة: «هل أنت واثق جونو؟».

تنهد بيأس ومرّر يده على مؤخرة عنقه بنفاد صبر: «وهل أنت واثقة من أنك لا تريدين الزواج؟ فالمقال الذي كتبتِه عن أفراح الزواج في البراري يقول عكس ذلك».

انقبضت عند سماع ذلك واستندت إلى حافة النافذة قائلة:

ـ كتبت ذلك المقال من أجل النساء الأخريات وليس من أجلي.

ـ ما معنى هذا بحق الله؟

كان غاضباً... غاضباً جداً.

ـ الصحفي يكيّف كتاباته وفقاً لقرائه. كنت أقول فقط ما يريد القراء سماعه.

ـ أتعنين بأن كل الأشياء التي كتبتها والتي أثّرت في بيبر... هراء؟ مجرد كلمات منمّقة ومرتّبة جيداً من أجل بيع المجلة؟

ـ لا. لقد عنيتُ فعلاً ما كتبت في المقال، جونو. كنت صادقة فعلاً. فبرأيي، الزواج الذي كتبت عنه هو مكافأة رائعة لمعظم النساء والحلم المنشود. ولكن هذا الأمر لا ينطبق عليّ.

خطت خطوتين نحوه ثم توقفت وقالت: «هذا صعب جداً. ما أحاول شرحه هو أن معظم الفتيات يمضين حياتهن بحثاً عن نصفهنّ الآخر، أما أنا فأمضيت السنوات العشر الأخيرة مذعورة من إمكانية إيجاده».

غاص قلب جونو:

ـ لماذا كاميلا؟ لِمَ أنت خائفة؟ هل ذلك بسبب والديك؟ هل أثرت فيك تعاستهما إلى هذا الحد؟

www.elromancia.com

شحب خداها وأخفضت عينيها إلى الأرض: «ربما».

شتم جونو من بين أسنانه فرفعت كاميلا نظرها إليه:

ـ هذا أحد الأسباب الرئيسية التي تدفعني للذهاب إلى باريس. عليّ أن أرى والدي وأتحدث إليه. أمي ترفض مناقشة أمر زواجهما معي ولكن أنا وأبي كنّا متفقين عندما كنت صغيرة.

ـ إذاً، لا بد لي من أن أعود بسرعة إلى موطني وأبيع تلك العجول لكي تتمكني من السفر.

حاولت أن تبتسم ولكنها لم تستطع، وبعد لحظة قالت:

ـ عندما أذهب إلى باريس، سأزور ذلك المقهى.

ـ أجل. افعلي ذلك.

* * *

قاومت كاميلا لتحبس دموعها وهي تتجه إلى منزلها في سيارة الأجرة. لقد تركها جونو ترحل. ليس فقط إلى باريس، إنما خارج حياته أيضاً.

لم يحاول أن يغيّر رأيها أو يجعلها تبتسم. لم يقترح عليها حتى أن يبقيا على اتصال بالمراسلة أو عبر الهاتف. لكن هذا ما طلبته هي، لذا لا داعي لأن تشعر بالخيبة.

إلاّ أن الدموع تجمّعت في مقلتيها وارتجفت شفتاها، مجاهدة لعدم البكاء.

لقد نجحت تماماً في مهمتها، فأقنعت جونو ريفرز بأنها غير ملائمة له وأنه سيكون أفضل حالاً من دونها.

هذه هي الحقيقة المرة! هو بحاجة إلى امرأة مستقرة وعاقلة مثل بيبر زوجة غيب، امرأة لا يزعجها الزواج وإنجاب الأولاد.

وضعت يدها على فمها، كابحة أي رغبة في البكاء. الأسوأ من كل هذا هو أنها لا تعرف كيف ستنساه.

كيف ستتحمل فكرة عدم رؤيته مجدداً؟

www.elromancia.com

٨ ـ حب باريسي

حالما اجتازت كاميلا عتبة المقهى في شارع «غبريال» ورأت السقف المنخفض والجدران المكسوة بمئات الرسائل المدونة بخط اليد، عرفت أنها وجدت المقهى الذي تحدّث جونو عنه.

لقد أمضت فترة بعد الظهر الخريفية الباردة تجوب شوارع «مونمارتر» بحثاً عنه، ولكن الآن وقد وجدته، شعرت بإحساس غريب يغمرها وببرودة شديدة تسري فيها وهي تخلع معطفها وتجلس إلى طاولة شاغرة. ها هي أخيراً هنا، ولكن يا لغبائها!

فبدلاً من زيارة الأماكن السياحية الأساسية في باريس، ها هي الآن جالسة في مقهى بعيد عن الأنظار في شارع خلفي، لمجرد أن جونو جلس فيه ذات مرة.

كانت تشعر بالحنين وتتمنى لو أنه الآن هنا.

ربما يمكنها أن تعزو إحباطها إلى القلق الذي تملكها منذ أن زارت والدها، فقد كان لقاءهما أسوأ مما توقعت. لقد كانت صدمة لها أن تزور شقته الصغيرة وترى ذكرياتها عن والدها القوي الوسيم المرح قد بدّدها واقع الرجل الذي أصبح عليه.

لا عجب أنه لا يراسلها دائماً. كان فابريس دوفيرو يختبىء منها، آملاً ألا تكتشف أنه أصبح صَدَفة فارغة من الوالد القوي الذي تذكره.

فخلافاً لوالدتها التي تقدمت من الرقص إلى تصميمه، تنقّل والدها

من مهنة وضيعة في تعليم الرقص إلى أخرى، وازدادت مع الوقت وحدته وفقد حماسته للحياة. ولكن ما صعق كاميلا فعلاً كان ندمه على ما آل إليه زواجه...

قال لها: «اشتقت حقاً إلى أمك. كنت مجنوناً عندما تركتها ترحل».

ـ ولكن إذا كنتما تعيسين معاً...؟

ـ أنا ولاين كنا نتمتع بمزاج انفعالي وهذا لا يساعد أي علاقة على الإطلاق. ولكن خلف كل هذا، كان هناك عاطفة عميقة ولا أعرف كيف لم ألحظ ذلك.

هذه الكلمات كانت بمثابة طعنة لقلب كاميلا. كيف فعل والدها هذا بنفسه؟ كيف تعايش مع الندم كل تلك السنوات من دون أن يفعل شيئاً...؟ وكلما فكرت في الأمر، كلما تساءلت إن كانت والدتها تشعر بالوحدة هي أيضاً.

كانت لاين سوليفان تعمل دونما توقف ولطالما افتخرت كاميلا بإنجازاتها ورأت فيها مثالاً ساطعاً لما تستطيع المرأة الموهوبة بلوغه. ولكن هل كانت تقوم بكل هذا العمل لتسد النقص الحاصل في حياتها؟ هل ارتكب والداها خطأ فادحاً بافتراقهما؟

المشكلة الأخرى هي أن التفكير في والديها جعلها تفكر في جونو... وفي البؤس الذي يتملكها منذ انفصالها عنه.

لقد التزم بوعده والاتصال الوحيد الذي جرى بينهما منذ كان في سيدني هو عندما أرسل لها ثمن العجول.

ولكن هل ارتكبت خطأ مميتاً؟ هل حُكِم عليها بإمضاء بقية حياتها بائسة وحيدة مثل والدها؟ هل ورثت عنه نقص الشجاعة الذي يحول دون بلوغها السعادة؟

www.elromancia.com

تقدّم منها النادل فطلبت كأس عصير، ثم أخذت نفساً عميقاً ونظرت حولها.

الآن، وقد تكبدت عناء العثور على هذا المكان، ستحاول الاستمتاع.

في الزاوية البعيدة من المقهى، رأت شاباً يعزف على البيانو ألحاناً هادئة رومنسية ولكن لم يكن ينقصها المزيد من التعاسة والحنين، فحوّلت انتباهها إلى الرسائل المذهلة المعلقة على الجدران.

وسط فوضى الأوراق، لفتت انتباهها صورة شمسية موقّعة من شاب يدعى «جوليان» من بريطانيا. شابة تُدعى «إلفيرا» كتبت: «باريس هي الحياة» بالحبر الأحمر. وكانت على وشك أن تقرأ بطاقة بريدية من «بول» و«باسكال» عندما أخذ هاتفها الخلوي يرنّ وعاد النادل في الوقت نفسه حاملاً كوب العصير الذي طلبته.

ـ شكراً.

وضعت المال على الصينية التي يحملها وتناولت هاتفها من جيب معطفها: «آلو؟».

ـ كاميلا دوفيرو؟

بدا لها الصوت الذكوري مألوفاً جداً، وإذ أدركت هوية المتصل، أخذت نفساً سريعاً لاهثاً:

ـ جونو؟ كيف... كيف حالك؟

ـ بخير شكراً. وأنت؟ كيف حال باريس؟

ـ باريس... باريس مذهلة.

شعرت بسعادة غامرة نتيجة التحدث مع جونو. وراح قلبها يخفق بقوة في صدرها:

ـ كل شيء هنا...

ـ فرنسي جداً؟

ضحكت من كل قلبها:

ـ أجل. باريس فرنسية جداً. جونو، لا يمكنك أن تتصور كم يسرني سماع صوتك.

وما إن خرجت الكلمات من شفتيها حتى اشتعلت وجنتاها. لم تشأ أن تبدو متلهفة إلى هذا الحد، إذ من المفترض أنها قطعت علاقتها به.

لكنه أخذها على حين غرّة ولم تستطع تنظيم أفكارها. كانت تشعر بالوحدة والوحشة بعيداً عن ديارها وبالقلق على والدها وتتمنى لو أنه قربها. لكن الحمد لله أنه لم يكن، وإلاّ لارتمت بين ذراعيه وجعلت من نفسها غبية. هكذا على الأقل تشعر بالأمان لإدراكها أنه في الطرف الآخر من العالم.

بإمكانها أن تتخيله الآن خلف مكتبه في إيدنفايل، ما جعلها تشعر بالحنين إلى الوطن. ولكن هذا جنون فما تتوق إليه هو موطن جونو وليس موطنها هي.

لا بد أنه جالس خلف المكتب المصنوع من خشب السنديان، وبجانبه كومة من التقارير عن البورصة، وخلفه في الزاوية الكمبيوتر الذي يضم كل ملفاته. قالت: «لن تحزر أبداً أين أنا الآن؟».

ـ أين؟

ـ في المقهى الذي حدثتني عنه.

ـ حقاً؟ ما رأيك به؟

ـ لم أصل منذ وقت طويل، ولكن يبدو الجو فيه مذهلاً.

ـ ألم أقل لك؟ بالمناسبة، هل رأيت والدك؟

www.elromancia.com

ـ أجل.

بقي جونو صامتاً لبرهة، متوقعاً أن تخبره المزيد، وعندما لم تفعل، سألها: «كيف حاله؟».

تنهدت بحزن:

ـ أنا حزينة جداً جونو. ساءني كثيراً أن أراه عجوزاً إلى هذا الحد. صحته ضعيفة ويشعر بالوحدة.

ـ يؤسفني سماع ذلك.

بدا مهتماً وصادقاً، فانهمرت الدموع على خديها وشعرت فجأة بالوحدة كوالدها وتمنت لو تستطيع أن ترى جونو وتلمسه.

آه كم اشتاقت إليه! لِمَ بحق الله صدّته وأبعدته عنها؟ إنها بأمس الحاجة إلى ذراعه المطمئنة حول كتفيها الآن.

كان على كاميلا أن تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تتمكن من المتابعة:

ـ أبي مشتاق إلى أمي جونو. يقول إنه لطالما اشتاق إليها. لا أحتمل رؤيته وحيداً بهذا الشكل.

سادت لحظة من الصمت قبل أن يقول: «هذا صعب».

بدا متفهماً للغاية، بحيث اضطرت لأن تضغط بيدها على فمها لتلجم شهقة كادت تفلت منها وأخذت نفساً سريعاً مهدئاً ثم قالت: «إنني أحاول إقناعه بالعودة معي إلى أستراليا».

ـ فكرة جيدة. أعلميني إن كان باستطاعتي المساعدة.

تفاجأت كاميلا بعرضه السخي وشكرته من بين دموعها. ثم سألها:

ـ ماذا عنك؟ هل تستمتعين؟

ـ أجل.

وكانت هذه هي الحقيقة تقريباً، فهي تنوي الاستمتاع بوقتها. وألقت

نظرة إلى الجدار بقربها المكسوّ برسائل تركها مئات الأشخاص الذين استمتعوا في باريس، أكثر مدن العالم رومنسية. بدءاً من الغد، سوف تستمتع بكل دقيقة من وقتها.

ـ لدي مجموعة من النزهات تنتظرني.

ـ لا تبدين متحمّسة جداً.

ـ إنني... إنني أعمل على ذلك. في الواقع...

ولفتت نظرها على الحائط كلمة مألوفة. هل رأت فعلاً ما ظنت أنها رأته؟

خُيل إليها لجزء من الثانية أنها قرأت اسمها في إحدى الرسائل بخط أسود عريض.

ـ كاميلا؟

نعم، اسمها هناك: كاميلا.

ولكن هذا لا يعني شيئاً، فالاسم شائع في باريس...

إلاّ أن الخط مألوف. يا إلهي!

ـ كاميلا، أما زلت على الخط؟

راحت تقرأ الرسالة على الجدار.

«كاميلا، أنا بحاجة إليك. يمكننا أن نختار الطريقة التي تريدينها. المهم أن تكوني لي. مع حبي، جونو»

خفق قلبها بشدة فكاد الهاتف يسقط من يدها.

ـ جونو.

لم يُجب.

كان وجهها يشتعل ناراً وقلبها يخفق بشدة وجسمها يرتجف ودموعها تسيل على خديها.

www.elromancia.com

ما الذي يجري؟ لا يُعقل أن يكون هناك ثنائيان يحملان الاسم نفسه! ولكن من أين أتت هذه الرسالة؟ جونو يعيش في وادي مولينجيم في الطرف الآخر من الكرة الأرضية. هل أرسل هذه الرسالة بالبريد وطلب من أحدهم وضعها هنا؟

حاولت مجدداً: «جونو، أتسمعني؟».

ـ نعم أسمعك.

ـ أظن أنني أُجن. ثمة رسالة على جدار هذا المقهى موجّهة إلى فتاة تحمل اسمي وموقّعة من شاب يدعى جونو.

ـ وأين الجنون في هذا؟

خُيل إليها أنها استشفت ضحكاً في صوته. فراحت تنظر حولها في أرجاء المقهى، علّها تجد من يفسّر لها كيف وصلت هذه الرسالة إلى هنا. لكنها لا تجيد الفرنسية. كم هذا سخيف! ما الفائدة من والد فرنسي إن لم يعلمها لغته؟

ـ كاميلا؟ هل ترين النافذة ذات الإطار الأحمر المطلة على الشارع؟

ـ أجل.

ـ هل تسنى لك رؤية المنظر من هناك؟ إنه مميز.

ما المميز في المنظر المطل على الشارع الخلفي في مونمارتر؟

توجهت إلى النافذة، شاعرة بشيء من السخف وحدّقت إلى الشارع... وكادت الصدمة تطرحها أرضاً.

كان جونو واقفاً عند الزاوية المقابلة، مستنداً إلى أحد عواميد الإنارة بلامبالاته المعتادة.

احترقت وجنتاها وغاص قلبها وهي تحدق إليه مسمّرة.

ألقت نظرة غير مصدقة إلى الهاتف في يدها المرتجفة ثم إلى خارج

النافذة مجدداً.

كان يرتدي كنزة كحلية اللون وبنطلون جينز وتتدلى على كتفه سترة جلدية سوداء. بدا في هذا الشارع الباريسي وكأنه في موطنه.

رفع يده ملوحاً لها، فلوّحت له بدورها ثم اتجهت بساقين واهنتين إلى مدخل المقهى.

جونو هنا في باريس! ولم تعد تعرف ما إذا كان عليها أن تضحك أم أن تبكي.

شعرت بموجة من الحيرة والحماسة الممزوجة بالخوف تتملكها. لقد طلبت منه أن ينسى أمرها، فلِمَ هو هنا؟

وعادت ذكريات الأوقات التي أمضياها معاً في سيدني إلى ذهنها، واجتاحتها موجة من الحنين.

دنا منها مبتسماً ونظر إليها من دون أن ينبس ببنت شفة.

بدا لها أطول قامة وأكثر ضخامة من قبل، وهي بدت أقل ترتيباً، كما فكرت في سرها.

التوى فمه بابتسامة خجولة: «ماذا يمكنني القول غير طاب يومك؟».

همست كاميلا: «طاب يومك».

كانت تعيق المدخل، فوقف بعض الأشخاص ينتظرون ليتمكنوا من المرور. قالت بسرعة: «لندخل».

وقادته إلى الطاولة حيث تركت معطفها وكوب العصير، فجلست لكي يتسنى لركبتيها المرتجفتين أن تستريحا.

ـ ماذا تفعل هنا؟ لا أصدق. من يهتم بماشيتك؟

ـ غيب ويبر. يدينان لي بخدمة أو اثنتين.

www.elromancia.com

راحت عيناه تتفحصان وجهها ثم أومأ ناحية كوب العصير الذي لم تلمسه بعد: «ألن تشربي عصيرك؟».

وكفتاة مطيعة ارتشفت العصير ثم أعادت الكوب إلى مكانه بيدين مرتجفتين: «هل تريد أن تطلب شيئاً؟».

ـ ليس الآن.

ـ لا أصدق أنك هنا.

ـ لقد أصبح لدي هواية جديدة. الظهور المفاجىء. أولاً في سيدني والآن في باريس.

كانت أفكار كاميلا تتصارع في رأسها ولم تعد تثق بنفسها لتتكلم.

كان من الجميل رؤية جونو ولكن ما كان عليه أن يأتي.

لقد اشتاقت إليه كثيراً لكن لم يكن يحق لها أن تشتاق إليه.

قررا الانفصال، ولكنه أتى.

مسح جونو بإبهامه دمعة انهمرت على خد كاميلا وقال: «جئت إلى هنا بناءً على نصيحتك».

ـ نصيحتي؟ ماذا تعني؟

ابتلع ريقه بصعوبة وبدا فجأة متوتراً: «قلتِ لي مرة إنه عندما تنتفي الخيارات، فلا بد من المخاطرة».

ـ آه.

ـ فخاطرت وجئت من مولينجيم إلى باريس بحثاً عنك.

ـ ولكن... لكن ألم يكن أمامك خيار آخر؟

مال نحوها وتناول الرسالة عن الجدار ووضعها أمامها، فحدقت إليها، واضعة يدها على قلبها الخافق.

«كاميلا، أنا بحاجة إليك. يمكننا أن نختار الطريقة التي تريدينها.

المهم أن تكوني لي. مع حبي، جونو».

ـ لقد وضعت نسخة عن هذه الرسالة بالقرب من كل طاولة، آملاً أن ألفت انتباهك.

ـ يا إلهي!

ـ لهذا السبب أنا هنا، كاميلا. لقد اجتزت كل تلك المسافة لأقول لك إنني لن أدعك تقضين على شيء كلانا نريده.

ـ ولكن...

رفع يده مقاطعاً إياها: «قبل أن تبدأي حملتك الهجومية، اسمعيني جيداً. أنا لا أطلب الزواج والأطفال، إنما فقط أنا وأنت».

ـ ولكن هذا لن يكون عدلاً إن كنت تريد...

ـ الرسالة التي كتبتها تقول ما أريده. أريدك أنت كاميلا. إن كنت لا ترغبين بالزواج، فلا بأس. إن كنت تريدين البقاء في سيدني فلا بأس أيضاً، ولكن لا يجدر بنا الابتعاد عن بعضنا.

كانت يداها مشدودتين على الطاولة أمامها، فاقترب وغطاهما بيديه السمراوين:

ـ لا يمكنك أن تتصوري شعوري نحوك. أنا مستعد لمغادرة إيدنفايل إن كان هذا يسعدك.

ـ لا! لا تفعل هذا.

ففي عينيها جونو وإيدنفايل أمران متلازمان لا يفترقان: «الأمر لا يستحق العناء، جونو».

بقي لحظة طويلة يحدق إليها برقة:

ـ يوماً ما ستدركين أنك تستحقين أكثر من هذا بكثير.

لم تستطع كاميلا أن تقابل نظراته الثاقبة، فراحت تتأمل أيديهما

www.elromancia.com

المتشابكة. كان من الصعب عليها أن تصدق أن هذا الرجل الوسيم الرائع يريدها هي، ولا أحد سواها.

لقد اجتاز جونو كل تلك المسافة ليقول لها إنه يريدها بشروطها هي.

ـ كفي عن مقاومة مشاعرك كاميلا.

رفع يده، فأعادتها مكانها بأصابعها المرتجفة: «لا أصدق أنك تكبدت كل هذا العناء للعثور علي».

وفكرت في والديها المختبئين الواحد عن الآخر بطرق مختلفة وفي والدها الذي يخشى أن يقرّ لأمها كم هو وحيد.

ـ كنتُ بائسة تعيسة من دونك جونو.

ابتسم قائلاً: «لا يجدر بأحد أن يشعر بالتعاسة في باريس».

نهض من مكانه داعياً إياها للخروج: «لنتجوّل في المدينة».

خرجا من المقهى وارتديا معطفيهما ليتقيا برد الخريف، ثم أخذا يطوفان شوارع مونمارتر. مضت فترة بعد الظهر كشريط سينمائي يعرض مشاهد جميلة من فيلم رومنسي رائع.

عند زاوية أحد الشوارع، جذبت رائحة الكستناء المشوية جونو، فاشترى بعضاً منها وراح يأكلها مع كاميلا وهما متجهان نحو الميترو الذي أعادهما إلى قلب باريس.

تنزّها في شارع الشانزليزيه من قوس النصر إلى اللوفر، متوقفين بين الحين والآخر أمام المتاجر الفاخرة. ثم عرّجا على أحد المطاعم وتناولا القهوة والفطائر الفرنسية.

وبينما كانا يسيران في الجادة الشهيرة، قالت كاميلا:

ـ أوصتني إديث بأن أدوّن ملاحظاتي عن الموضة الفرنسية النسائية.

ـ أليس من الأفضل أن تلقي نظرة على الرجال الفرنسيين؟ يفترض أنهم جذابون، أليس كذلك؟

ـ لا مجال لمقارنتهم معك، جونو ريفرز.

كافأها جونو بعناق قوي، على جادة الشانزليزيه، وسط مئات الناس. لكن أحداً لم يعبأ بهما، فهذه باريس مدينة الحب.

ولم ينتبه لهما أحد عندما حمل جونو كاميلا بين ذراعيه وركض في الشارع.

فانفجرت بالضحك، بحيث عجزت تقريباً عن الكلام: «أنزلني».

دوّت باريس بضحكاتهما، ولم ينزلها جونو إلا عندما أنهكهما الضحك والحب.

باريس برفقة جونو أكثر من رائعة.

في الأيام التالية، لم تستطع كاميلا أن تصدق أنه من الممكن أن تكون سعيدة في كل دقيقة من النهار. هي وجونو عاشقان وهما وحدهما في عالم لا يعرفهما فيه أحد، يمضيان أوقاتهما بعفوية، من دون أي تخطيط.

نزهة في حديقة اللوكسمبورغ من هنا، وعشاء في الحي اللاتيني من هناك، أمسية في المسرح تارةً، وزيارة للمتاحف طوراً.

ثم استأجر جونو سيارة رياضية وأمضيا يومهما جنوب باريس حيث استمتعا بمناظر المنازل المنفردة ذات الجدران الرمادية وتناولا الغداء عند ضفة نهر يصل بين ضفتيه جسر قديم وتحيط به من الجانبين أشجار الصفصاف والسنديان.

قالت كاميلا: «المناظر هنا مختلفة تماماً عما هي عليه في ريف أستراليا، أليس كذلك؟».

www.elromancia.com

كان جونو ممدداً على الحصيرة مستنداً إلى أحد مرفقيه، يتأمل المنظر الجميل. ابتسم لها قائلاً:

ـ أظننا اتفقنا على أن كل شيء في فرنسا فرنسي جداً.

ضحكت كاميلا ودنت منه أكثر.

عند عودتهما إلى باريس مجدداً، أضاءا الشموع في كاتدرائية «نوتردام» وتعانقا في أعلى برج إيفل ثم عاد كلّ منهما إلى فندقه ليحلما بيوم جميل آخر معاً.

التقيا في اليوم التالي في غرفتها. جلست كاميلا قرب حبيبها قائلة: «لم أشعر يوماً بهذا القدر من السعادة».

همس مجيباً: «ولا أنا».

ابتسمت له ومررت يدها على بشرته، متلمسة كل تفصيل من تفاصيل وجهه الوسيم، مروراً بأنفه الدقيق، وصولاً إلى ذقنه الخشنة.

ـ شكراً جونو. شكراً على كل شيء.

وضع يده على يدها ورفعها إلى فمه، مقبلاً إياها بحب واضح.

ـ الشكر متبادل.

لم يتحدثا عن الحب ولكن لا بأس في ذلك، فالتكلم عن الحب يوصل إلى موضوع الزواج والارتباط، وكلاهما يعرف أن هذه المسألة ليست واردة حالياً.

ولكن جمال اللحظة قاطعه رنين هاتف جونو الثقال.

ـ لا بد أنها بيبر.

نهض من جانبها واتجه إلى الطاولة حيث وضع الهاتف، فراحت تتأمل ظهره العريض الذي صقلته سنون التعب والجهد.

كانت غارقة في تأملها السري هذا، فلم تعر اهتماماً للحديث

الهاتفي، إلى أن لاحظت أنه لم يكن يتكلم كثيراً، وأنه يضغط على الهاتف حتى ابيضّت أصابعه.

سمعته يشتم بصوت خافت، ويبتعد أكثر عنها. ساد الصمت مجدداً وهو يصغي إلى المتصل، ثم قال غاضباً: «لا، لا! لا!».

تسلّل الحذر إلى كيانها وتبعه إحساس بالذنب. فشعرت وكأنها تختلس السمع. هل يفترض بها البقاء هنا أو الابتعاد لكي يتمكن جونو من التكلم بحرية أكبر؟

نهضت وتوجهت إليه حيث وقفت قليلاً علّه يشير إليها بالبقاء إلى جانبه، لكنه لم ينتبه حتى لوجودها، فدخلت الحمام وأغلقت الباب خلفها.

٩ ـ الماضي يعود

عندما خرجت كاميلا من الحمام، توقعت أن يكون جونو قد أنهى مكالمته الهاتفية وجلس ينتظرها، لكنه كان قد رحل.

رحل من دون كلمة واحدة. فتملّكها الذعر. ما الذي حدث؟ لا بدّ أنه ذهب للقيام بأمر طارىء. ولكن لِمَ لم يقل لها إلى أين ذهب؟

تسارعت الأفكار في رأسها ونبضات قلبها. لقد حدث أمر خطير. ما كان عليها أن تتركه بمفرده.

لكنها لم تشأ التدخل في خصوصياته. وهو لم يشأ أن يشاركها أخباره، وإلاّ لطرق الباب وأخبرها. لِمَ اختفى بهذا الشكل من دون أي كلمة؟ أهذا ما يحصل مع العاشقين الذين لا يتحدثون عن الحب؟ لقد استمتعا كثيراً ومرحا لكن عندما حدث أمر جاد كذلك الاتصال الهاتفي، افترقا بكل بساطة.

لا. لا يمكن أن يحصل هذا معها ومع جونو. ستعود الأمور إلى مجاريها.

لم يكن لديها فكرة عن مكان تواجده، لذا لا يمكنها الذهاب بحثاً عنه. غيّرت ملابسها علّ الوقت يمرّ بسرعة وارتدت سروالاً رمادياً وكنزة نبيذية اللون يحبها جونو ثم حضّرت القهوة وتركتها تبرد بانتظار عودته.

وعندما طرق أخيراً الباب، هرعت نحوه. بدا جونو شاحباً وشرد

نظره في الغرفة كما لو أنه عاجز عن النظر في عينيها. انتظرته ليتكلم، وعندما لم يفعل، أخذت نفساً حاداً ودنت منه.

ـ أرجوك جونو، لا أحتمل صمتك. قل لي، هل حدث سوء لغيب أو بيير أو للولدين؟

ـ لا، إنهم بخير.

شخصت عيناه المتوترتان إليها لحظة سريعة ثم تحولتا عنها. وتمنت كاميلا لو أنها لا تشعر بأنها مضطربة وعديمة النفع إلى هذا الحد: «أتريد... هل أطلب أن يحضروا لك القهوة أو الطعام؟».

التوت شفتاه بابتسامة باهتة لم تصل إلى عينيه: «القهوة ستفي بالغرض».

بينما كانت كاميلا تتصل بخدمة الغرف وتطلب القهوة، بقي هو واقفاً وسط الغرفة، واضعاً إحدى يديه في جيبه، ممرراً الأخرى على مؤخرة عنقه باضطراب ظاهر.

وعندما أعادت السماعة إلى مكانها، قال: «كما لا بد أنك لاحظتِ، لدي أخبار سيئة. حصل حادث، بل مأساة، توفي على إثرها شخصان».

ـ آه هذا مريع!

أجلى حنجرته ثم تابع قائلاً: «ولكن هذا ليس كل شيء. يبدو أنني أب. قيل لي للتو إن لديّ ابناً».

كانت هذه الكلمات أشبه بصفعة هزّتها وخطفت أنفاسها. لم تستطع أن تتكلم طبعاً ولم يستطع جونو النظر إليها، ولكنه بقي مكانه يحدق إلى الأزهار المرسومة على السجادة تحت قدميه.

تابع بنبرة خافتة: «تلك المرأة التي كنت أخرج معها، سوزان هيث،

www.elromancia.com

كانت زوجتي سرّاً. لكن علاقتنا لم تدم طويلاً وعندما حملت، أصرّت على أن الطفل من رجل آخر يدعى تشارلز كيلغور، فطلّقتها».

أومأت كاميلا. إنها المرأة التي كلّمتها عنها بيير.

ـ هربت سوزان مع كيلغور وفي النهاية تزوجا واستقرا في دارته على بعد مئات الكيلومترات من إيدنفايل... والآن، قتل تشارلز وسوزان.

ـ آه لا!

خرجت الصرخة من شفتيها وانشلّت فيها كل حركة.

ضرب جونو قبضة يده براحة الأخرى: «يبدو أنهما كانا ثملين بعد سهرة طويلة، الصغير لم يكن معهما. بقي مع عائلة كيلغور».

توقف قليلاً ورأت كاميلا نظراته تتسمر عليها لحظة ثم تشرد مجدداً.

ـ منذ الحادث وعائلة كيلغور ترفض الاهتمام بالصبي وتدّعي أنه ابني.

لم تعرف ماذا تقول، في الواقع لم تستطع التفكير، وكل ما تمكنت من قوله: «إنها... صدمة بالنسبة إليك».

أومأ وأغمض عينيه كما لو أنه يحارب شعوراً قاتماً قوياً، وعندما فتحهما، تعالى طرق على الباب.

فقالت كاميلا: «لا بد أنه الطعام».

فتحت الباب وأخذت الصينية ووضعتها على الطاولة، ثم سكبت القهوة الساخنة في فنجانين ناولت جونو أحدهما.

ـ اجلس واشرب هذا.

أمسك الفنجان شاكراً وتهاوى على المقعد الأقرب إليه.

وضعت كاميلا أمامه طبقاً من الكعك والمربى ثم جلست إلى جانبه

وارتشفا قهوتهما بصمت. وبعد عدة دقائق، سألته: «هل تظن حقاً أن الصغير ابنك؟».

نظر إليها بحزن للحظة ثم أعاد بصره إلى السجادة مجدداً:

ـ هذا محتمل. عندما عرفت أن سوزان حامل لم يكن لديّ شك في ذلك. لم أكن أعرف أنها تخرج في الوقت نفسه مع كيلغور.

ـ هل رأيت الصغير يوماً؟

ـ لا، أبداً.

مرّت لحظات أخرى مثقلة بالصمت المؤلم. كان لدى كاميلا كمّ من الأسئلة تطرحها عليه.

هل كان جونو يبكي على سوزان؟

ـ كم عمره؟

استدار لينظر إليها بعينين شاردتين فارغتين: «سنتان. حوالى سنتين ونصف على ما أظن».

ـ آسفة إن كنت أطرح الكثير من الأسئلة لكنني أحاول استيعاب الموضوع. لا أفهم لِما تقول عائلة كيلغور إنه ابنك الآن، بعد كل هذا الوقت.

ـ بحسب أمي، يبدو أنهم كانوا مستعدين للتغاضي عن انعدام الشبه بين الصبي وتشارلز. لكن منذ... منذ الحادث، لا يريدونه.

ـ وكيف لا يريدونه؟

ـ أنت لا تعرفين عائلة كيلغور.

ـ هل تعرف إن كان يشبهك؟

ـ على ما يبدو. أولاً، شعره أسود بينما سوزان وتشارلز يتحدران من عائلتين يطغى عليهما الشعر الأشقر.

www.elromancia.com

وضع فنجانه جانباً وأسند مرفقيه إلى ركبتيه: «لا أنفك أتساءل عما شعرت به سوزان عندما ولد الطفل».

ـ لا بد أنها تلقت صدمة كبيرة.

ـ أجل، لكن كل ما كان يهمها هو الزواج بأحد أفراد أسرة كيلغور لأنهم من طبقة اجتماعية راقية.

هزّ رأسه ببطء وهو يحدق إلى الأرض ثم أضاف: «لكن تشارلز كيلغور ليس مغفلاً. لا بد أنه عرف أنها تزوجته لهذا السبب».

ـ ما زلت لا أصدق أنهم أخفوا عنك الحقيقة كل تلك المدة.

أومأ جونو من دون أن يتكلم. ثم سألته كاميلا فجأة: «ما اسم الصبي؟».

أرادت أن تعلم، كما لو أن الكابوس سيصبح ملموساً أكثر لو كان للصبي اسم.

ـ بيتر.

ـ اسم جميل.

ـ أجل.

ـ هل ستطلب فحصاً للحمض النووي؟

ـ لا أرى داعياً لإثبات الأبوة. سواء أكان ذلك الصبي مني أو من تشارلز، أظن أنه الآن مسؤوليتي. وإذا كان لا أحد يرغب فيه، فأنا بلى. لن أتركه لدور الأيتام.

ـ لا، لا يمكنك أن تفعل هذا. أفهم شعورك.

نهض جونو فجأة من مكانه: «حقاً كاميلا؟ هل تتفهمين شعوري؟».

ضغطت ذراعيها المشبوكتين أكثر على صدرها في حين سرت في جسمها موجة من الخوف، فقد شعرت بمسافة شاسعة تمتد بينها وبين

جونو.

حبست دموعها قائلة: «إنني أحاول».

فآخر ما كانت تريده هو البكاء وزيادة الأمور صعوبة على جونو.

ـ أظنني أفهم ما تمر به.

بدأ يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً: «والأسوأ من هذا هو ما فعلته بك. أتعرفين معنى هذا بالنسبة إلينا؟».

ـ لنا؟ جونو ماذا تقول؟

ـ لقد انجرفت كثيراً. جئت إلى هنا وفرضتُ نفسي عليك.

حاولت الابتسام: «وهل بدا لك أنني منزعجة؟».

أسرع نحوها وأمسك وجهها بكلتي يديه. كانت عيناه قاتمتين من شدة الألم لكنه منحها تلك الابتسامة الجميلة هامساً: «كان كل شيء رائعاً، أليس كذلك حبيبتي؟».

ـ طبعاً.

لِمَ يتكلم عن علاقتهما بصيغة الماضي؟ هل يعني ظهور ذلك الطفل أن كل شيء انتهى بينهما؟

استدار جونو مجدداً: «ظننت أنني حر كاميلا لكن يبدو أن العلاقة غير المشروطة التي عرضتُها عليك أصبحت مزحة الآن. اعتقدت أن بإمكاني المجيء إلى هنا وتسوية الأمور كلها. كنت حتى مستعداً للتخلي عن إيدنفايل من أجلك».

يا إلهي! إنه يفترض أن ظهور الطفل سيجعلها تهرب. ولكن كيف لها أن تلومه بعد كل ما قالته عن عدم رغبتها في الزواج أو الأولاد؟

صحيح أنها لم تتخيل نفسها يوماً كأم، ولكن إن كان هذا يعني خسارة جونو...؟

www.elromancia.com

ألقى عليها نظرة سريعة حادة: «لقد حجزت بطاقة سفر لرحلة العودة».

ـ هل عليك العودة بهذه السرعة؟

ـ أجل. لقد قصدتُ وكالة السفريات في الشارع المقابل. يكفي أن هذا الصغير خسر والديه. ولكن إذا كان أحد لا يريده، فعليّ العودة بأسرع ما يمكن.

حدقت إليه كاميلا مخطوفة اللون والأنفاس. جونو عائد إلى دياره. من دونها... وقد أصبح هناك منذ الآن في أفكاره. فهي تشعر بأن المسافة التي تفصلهما في هذه اللحظة كبيرة جداً.

كيف حصل هذا بهذه السرعة؟ كانت منذ لحظات أسعد مما كانت عليه يوماً في حياتها أو أملت بأن تكون. والآن اختفى كل شيء، لقد خسرت جونو.

ـ يمكنني أن أرافقك إن شئت.

ـ ربما من الأفضل ألاّ تفعلي.

ـ دعني على الأقل أساعدك في توضيب أغراضك.

ـ حسناً.

ما إن وصلا إلى الفندق الذي ينزل فيه جونو حتى بدأ يفرغ محتويات الخزانة في حقيبته.

كانت الساعات القليلة التالية رهيبة، أمضتها كاميلا في مساعدته. فتارة تكوي له قميصاً وطوراً تبحث له عن غرض أضاعه. وتذكرت حدثاً كانت فيه على القدر نفسه من التعاسة والخوف، وذلك عندما دخلت أمها المستشفى من أجل الخضوع لعملية طارئة.

حينها، ذرعت كاميلا أروقة المستشفى مئات المرات، خائفة من ألا

ترى لاين مجدداً. وأدركت فجأة مدى حبها لأمها. والآن تريد أن تفصح لجونو عن حبها لأنها فعلاً تحبه، لقد عرفت ذلك الآن. في الواقع عرفت ذلك منذ زمن.

وقفت في زاوية من زوايا الغرفة وحدقت عبر النافذة إلى الأشجار المعرّاة من أوراقها، محاولة إيجاد الطريقة الملائمة لتشرح له شعورها.

في الواقع راحت أحاسيسها نحوه تزداد قوة منذ اللحظة الأولى التي التقته بها، عندما ظنت أنها لا تريد منه سوى المشاركة في المسابقة التي تنظّمها المجلة. ثم وقعت تحت تأثير سحره. والآن... ربّاه! إنها تشعر بأنها لا تقوى على العيش من دونه.

كانت تتمزق من الداخل لمجرد التفكير في خسارته. ولكن منذ أن اتصلت به أمه، نشأت هوّة بينهما حالت دون تعبيرها عن مشاعرها. تهيأ لها بأنها لو تكلمت مع جونو عن الحب في هذا الظرف، فسوف يحتقرها.

يا له من توقيت سيء أن تكتشف، بعد فوات الأوان، كم هي مغرمة بجونو!

كان الوقت يمر بسرعة البرق. أنّى لها أن تعرف أن الساعات الأخيرة والدقائق الثمينة مع جونو ستمضيها وهي تراقبه يجري محادثات هاتفية مع أمه وتساعده في حزم أمتعته. لا عناق ولا كلام!

تبادلا بعض الكلمات وهما متجهان إلى مطار شارل ديغول.

وعند حاجز الجمارك، دنا جونو منها وعانقها بقوة سمحت لها أن تسمع خفقات قلبه، فلم تستطع حبس دموعها. تمنت من كل قلبها ألاّ يتفوه بكلمة وداع أو يقول لها إنه لن ينساها مثلاً.

همس في أذنها: «لن أنساك أبداً».

www.elromancia.com

ورأت بريقاً فضياً في عينيه. أرادت أن تصرخ... أن تتمدد على أرض المطار وتبكي حتى تجف مقلتاها.

وابتعد عنها. وبينما كانت كاميلا تصارع دموعها، تذكرت شيئاً أرادت أن تعطيه إياه، فدسّت يدها في جيب معطفها وسحبت كلباً فرنسياً صغيراً مصنوعاً من قماش زهري اللون.

ـ كنت أنوي إعطاء هذا لبيللا. هل يمكنك أن تعطيها إياه؟

ـ طبعاً.

بدت الدمية الصغيرة بحجم الصرصار في يده الضخمة السمراء.

ـ أخشى أنه ليس لدي شيء مناسب لصبي في الثانية من عمره لكن يمكنك أن تختار لعبة من المطار تأخذها معك لبيتر.

ـ إنها فكرة جيدة. شكراً.

حدّق إلى الكلب الصغير في يده ثم نظر إليها فرأت في عينيه حزناً كبيراً كما لو أن الندم يتآكله. وما هي إلا لحظات حتى استدار مبتعداً، مختفياً بين حشود المسافرين.

* * *

عادت كاميلا إلى ذلك المقهى في مونمارتر، كما لو أنها تحتاج لمعاقبة نفسها أو لأن تزيد تعاستها تعاسة. وهناك وجدت رسائله لا تزال معلّقة على الجدران. انهمرت الدموع على خديها وهي تنزعها عن الحائط وتدسّها في جيبها، متجاهلة العيون الفضولية التي راحت تحدق إليها.

وعندما خرجت من المقهى، جلست وحيدة على أحد مقاعد حديقة عامة، وسط سجادة من أوراق الخريف اليابسة وراحت تقرأ الرسائل. كانت كلّها متشابهة ولكنها قرأتها جميعها.

«كاميلا، أنا بحاجة إليك. يمكننا أن نختار الطريقة التي تريدينها. المهم أن تكوني لي. مع حبي، جونو».

لقد كتب تلك الكلمات مرات ومرات وكان مستعداً لفعل أي شيء من أجلها، وبالطريقة التي تريدها.

كان مستعداً لتغيير حياته كلها من أجلها! ربّاه كم بدا الأمر سهلاً حينها. وكم تشعر بالأنانية الآن!

لو أنها لم تحدث كل تلك الجلبة حول الزواج، لو أنها قبلت الارتباط به، لو أنها زوجته، لاستطاعت مساعدته الآن. ولطلب دعمها من دون أن تسأل. ولكانت الآن برفقته على الطائرة تواجه المشاكل التي تعترضه.

لكن عندما تلقّى الخبر الفظيع، شعر أنه ليس مخوّلاً ليطلب أي شيء منها، فقد وعدها بعلاقة خالية من أي ارتباط. فرحل يواجه مشاكله بمفرده.

ولكن ماذا يمكنني أن أقدّم لجونو؟ هو يعرف مدى إخفاقي مع الأولاد.

فكرت في ولديّ بيير، بيللا ومايكل، وقطبت جبينها وهي تتذكر تلك الضحكات الصباحية التي تشاطرتها مع بيللا والطريقة التي كان يجلس بها مايكل بقربها. لقد تفاجأت حينذاك بالمتعة التي شعرت بها برفقتهما، ولم تمانع حتى النهوض في منتصف الليل لتحضّر زجاجة حليب أخرى لمايكل.

ربما تأقلمت معهما لأن ولدي بيير مميزان.

ولكن طفل جونو سيكون مميزاً أيضاً...

صبي صغير في الثانية من عمره. أسود الشعر، صبي صغير يُدعى

www.elromancia.com

بيتر وسوف يترعرع في إيدنفايل، مع والده. صبي صغير بحاجة إلى جونو... إلى الرجل الذي أحبها لدرجة أنه أتى إلى باريس بحثاً عنها. ولكن ذلك الرجل تركها مجدداً ليعود إلى دياره بحثاً عن ابنه.

إن كانت تشعر بالوحدة الآن فالذنب ذنبها لأنها لم تتحلَّ يوماً بالشجاعة الكافية لتواجه الحقيقة.

١٠ ـ مفاجأة

عندما دخل جونو منزل والدته ورأى الصبي الصغير ذا العينين العسليتين والشعر الأسود جالساً أمام التلفزيون، شعر بطعنة ألم. فالصبي نسخة عنه أو عن غيب.

ورجعت به الذكريات إلى أيام الطفولة حين كان والده يلاعبه هو وأخاه ويعلّمهما ركوب الخيل والصيد والسباحة في بحيرة مولينجيم.

وها هو الآن والدا! هكذا، فجأة.. فهذا الطفل ابنه ونسيب بيللا ومايكل.

قالت أمه: «الصغير المسكين واجه وقتاً عصيباً. حسبما عرفت، صبّ تشارلز وسوزان اهتمامهما على حياتهما الاجتماعية وآل كيلغور لا يهوون حضانة الأطفال. سيلزمك الكثير من الصبر والحب لتكسب قلب الصغير، بني».

انفطر قلب جونو لمجرد التفكير بأن طفله عانى الإهمال وعاش في منزل خالٍ من العاطفة وتملّكه الغضب لإخفاء الحقيقة عنه. لكن لم يكن ثمة داعٍ لإثارة هذه المسائل الآن، فهو لن يجني شيئاً، كما لن يجني شيئاً من التفكير بكاميلا ومدى شوقه إليها.

الآن وقد عاد إلى مولينجيم عليه أن يتقبل واقع أن علاقة من دون ارتباط رسمي أمر لا يستطيع أن يحلم به بعد اليوم.

قال جونو لوالدته: «أريد أن أصطحب بيتر إلى إيدنفايل».

www.elromancia.com

كان ينوي أن يعوّض على الصغير كل ما افتقده خلال السنتين الماضيتين، وأن يبذل ما بوسعه ليظهر له عطف الوالد الذي يستحقه.

لكن في طريق العودة إلى إيدنفايل، بقي الصغير صامتاً في مقعده، متشبثاً بالكنغر الذي اشتراه له جونو من سيدني، ولم ينظر يميناً أو يساراً أو ينبس حتى بكلمة واحدة.

عندما وصلا إلى إيدنفايل، أدخله جونو إلى المطبخ حيث جلس بيتر على كرسي وقد بدا تائهاً يتأمل والده الجديد الغريب بذعر شديد.

تنهد جونو بعمق. لقد ظن نفسه خبيراً في التعامل مع الأولاد. فقد انتبه لولديّ بيبر وغيب ما يكفي من المرات ليعتبر نفسه بارعاً مع الأطفال. لكن هذا الصغير مختلف تماماً عن ابنة أخيه. سأله: «أتريد أن تشرب الماء؟».

هز بيتر رأسه.

ـ الحليب؟ العصير؟

بقي بيتر يهز رأسه.

فقدّم له جونو كوباً من الليموناضة علّه يقبل، فأومأ الصغير إيجاباً. أخيراً أحرز جونو تقدماً. لكن هل يمكن لطفل في الثانية من عمره أن يعيش على الليموناضة؟

ـ سأحضّر لك وجبة بيللا المفضلة، أصابع السمك المشوية مع البطاطا.

ولكن عندما قدم له الطعام، لم يبدُ بيتر مهتماً مثقال ذرّة. فسأله جونو: «أتريد مشاهدة التلفزيون؟».

وعندما هز بيتر رأسه، لم ينزعج جونو إطلاقاً، فقد استدرك أن ما من برامج للأطفال في هذه الساعة.

دخلت الهرة ميفس إلى المطبخ، مطالبة بعشائها، فنظر إليها بيتر بعينين متّسعتين. حملها جونو ووضعها على الكرسي، سائلاً الصغير: «هل تريد مداعبة الهرة؟ إنها ناعمة جداً وتحب المداعبة».

لكن الصبي هزّ رأسه من دون أن يتكلم وتشبث بالكنغر الذي بين يديه أكثر من أي وقت مضى. ففكر جونو في سرّه أنه كان مخبولاً عندما رفض مساعدة بيبر، لكنه كان يودّ القيام بذلك بمفرده.

لقد قال لها: «إن وجوهاً كثيرة جديدة ستربك الطفل».

لكن بيبر أجابته: «لكنك بالكاد حظيت بالوقت الكافي لتستريح من رحلتك الطويلة، ولديك مزرعة عليك أن تديرها. أنت بحاجة لمن يساعدك في العناية ببيتر، ولا يمكنك أن تتوقع من عاملة التنظيف أن تقوم بدور المربية».

ـ أعرف أنني سأحتاج للمساعدة ولكن في البداية أريد التروي، لا أريد الكثير من الناس والجلبة من حوله.

ـ لكنه صبي صغير وليس عجلاً. الناس مختلفون عن الحيوانات وحاجاتهم مختلفة أيضاً.

بدأ جونو يشعر بالذعر، فقد كانت الأفكار اللامعة تنفد منه. أي نوع من الآباء هو؟

سأجرب لعبة الخروف. بيللا تحب ذلك. ولكن إن لم تنجح، فأكون قد أخفقت تماماً مع ابني.

زحف جونو على ركبتيه ويديه، مقلداً الخروف، الأمر الذي كان دائماً يضحك بيللا، لكن بيتر أخذ يبكي ويصرخ مذعوراً.

فسارع جونو يهدئه: «آسف يا صغيري. لا تبكِ. لم أقصد إخافتك».

www.elromancia.com

أخذ يذرع الغرفة متزعجاً، وهو يفكر جاهداً في أي شيء آخر، أي شيء تحبه بيللا أو مايكل. ربما عليه أن يستقل شاحته ويأخذ الصبي معه إلى «ويندارو» ويدع غيب وبيبر يجربان سحرهما عليه؟

خير له أن يتنازل قليلاً عن كبريائه من أن يدع ابنه يتعذب أكثر.

نظر من النافذة إلى شاحته المركونة ورأى أنوار سيارة تتجه نحو المنزل، فتوقع أن تكون بيبر.

يا للطفها! على الرغم من كل شيء جاءت تساعده مع الصغير. ملأ إبريق المياه ووضعه على النار، في حين سمع باب السيارة يُغلق في الباحة. فقال لبيتر:

ـ سيكون كل شيء على ما يرام يا صغيري، فزوجة عمك آتية. سوف تحبها كثيراً.

سمع وقع خطواتها على السلالم المؤدية إلى الشرفة الخلفية، فتناول فنجانين وإبريق الشاي ووضعها على المائدة: «جئت في الوقت المناسب يبير، ادخلي. الباب الخلفي قاسٍ بعض الشيء ولكن شدّي عليه قليلاً».

سمع أزيز الباب وهي تفتحه ثم خطواتها وهي تتجه نحو المطبخ. قال من دون أن يستدير: «كنت أتمنى حضورك».

ـ هذا جيد.

أجفل جونو! فالصوت لم يكن صوت بيبر.

ـ كاميلا!

١١ ـ مخطئة

خطت كاميلا إلى داخل المطبخ ثم توقفت مكانها: «مرحباً جونو».

فغر فاه: «ليس أنت».

فغاص قلبها فجأة. ليس أنت؟

كيف يستطيع جونو قول ذلك؟ كيف يكلّمها بهذه الفظاظة؟ كيف يصرفها هكذا بعد كل تلك المسافة التي اجتازتها لتكون إلى جانبه وتساعده؟

لقد توقعت أن يفتح ذراعيه ويركض إليها، أن يفرح ويرتاح لحضورها، لا أن يقول لها بكل برودة «ليس أنت».

جاهدت كاميلا لتستعيد أنفاسها المخطوفة ولكنها لم تستطع إيقاف الذعر الذي أخذ يكتسحها ولا وقف ارتجاف ركبتيها.

لا بد أن كلمتي «ليس أنت» هما الأسوأ على الإطلاق في اللغة كلها!

حوّلت نظرها إلى الصبي الصغير الجالس على الكرسي وطبق الطعام الذي لم يلمسه. بدا بيتر صغيراً جداً.

ربّاه كم هو ظريف! إنه صورة مصغرة عن جونو، لكنه كان يحدّق إليها بعينين كبيرتين حزينتين، كما لو أنه كان يبكي.

من الواضح أن الأمور لم تكن على ما يرام.

سألها جونو غاضباً: «ماذا تفعلين هنا؟».

www.elromancia.com

كان يقف خلف الصبي، متشبثاً بكرسيه محدقاً إليها بعينين ضيقتين، ما ذكّرها بجونو عندما التقيا للمرة الأولى، ذلك الرجل العنيد الذي رفض التعاون مع «حديث المرأة».

كانت الصدمة قوية جداً عليها، فلم تجد شيئاً تجيب به عن سؤاله سوى الحقيقة: «أردت المساعدة، جونو».

وكانت نظراته حادة مربكة، فقالت مترددة: «ربما... ربما كان علي إبلاغك بمجيئي ولكن... ولكنني استقليت الطائرة بعد رحيلك بساعات قليلة، وكان عليّ الهبوط في طوكيو. استقليت حافلة وجئت إلى مولينجيم حيث أعارتني بيبر سيارتها».

ـ ما كان على بيبر أن ترسلك إلى هنا.

أغمضت عينيها لحظة أو اثنتين محاولة استجماع قوتها لتبرير تصرفات جونو. لا بد أنه متعب جداً وكان بانتظاره وضع دقيق جداً. كما أنه تفاجأ بقدومها فاعتمد الهجوم كأفضل طريقة للدفاع.

لقد حذّرتها بيبر: «جونو يريد القيام بذلك بمفرده. يقول إنه لا يريد المساعدة ولكنني واثقة من أنك تستطيعين تغيير رأيه كاميلا».

أجلى جونو حنجرته قبل أن يقول: «أنا في وضع صعب هنا وأظن أنه من الأفضل أن تعودي إلى ويندارو هذا المساء. سيهتم غيب وبيبر بك».

خشيت للحظة أن تنهار عند قدميه. أمر لا يُصدّق! منذ أقل من ٤٨ ساعة كانت هي وجونو من أسعد العاشقين على الإطلاق. ومنذ اللحظة التي سمعت فيها أن لديه ابناً، شعرت بانقباض في قلبها. لم تفكر حتى تلك اللحظة في أن تكون أماً، فكيف بالحري أن تكون أماً لطفل لم تلده. ولكن منذ تلك اللحظة، وهي لا تفكر سوى بذلك.

كانت متحرقة للقائه ومساعدته وآخر ما كانت تتوقعه هو أن يصدّها

بهذا الشكل.

لو لم تكن منهكة، لحاولت أن تجادله ولكن لم يكن لديها القوة الكافية لتتشاجر معه الليلة، فاستدارت نحو الباب قائلة: «إلى اللقاء جونو وبالتوفيق، سأكون في ويندارو إذا غيرت رأيك».

لم يجب وهي لم تستطع إلا أن تلقي نظرة إلى الخلف.

رأت بيتر الصغير ينزل عن كرسيه ثم يقف لينظر إليها مباشرة. شعرت كاميلا بنبضات قلبها تتوقف ثم تتسارع. ومن دون أن تنظر إلى جونو، قالت للصغير بصوت رقيق جداً: «مرحباً بيتر».

بقي الصغير واقفاً إلى جانب الكرسي، متشبثاً بالكنغر، يحدق إليها. كانت عيناه متسعتين لكنه لم يبدُ مذعوراً. وعندما سار نحوها، ألقت نظرة سريعة على جونو الذي بدا مذهولاً. سألها بيتر:

ـ أين ماما؟

يا إلهي! كانت عيناه مفعمتين بالأمل، فشعرت بقلبها يغوص في صدرها. انحنت إلى جانبه وهي تفكر بما عساها تجيبه.

أين هي أمه؟ ماذا يمكنها أن تقول؟ كيف يمكن الرد على سؤال مماثل يطرحه طفل في الثانية من العمر؟

ألقت نظرة أخرى على جونو فبدا أشبه بولد صغير تائه. عندئذٍ قررت أن تتجاهل صدّه لها وتتبع قلبها.

فقالت لبيتر: «تعجبني دميتك».

ورفعت يدها ببطء وراحت تداعب لعبة الصوف الناعمة. كانت عينا بيتر تتبعان حركة يدها وشعرت كاميلا أنه استرخى قليلاً، فوضعت يدها مداعبة خدّه بكل هدوء وكادت أنفاسها تنخطف عندما مال برأسه على يدها، طالباً المزيد من المداعبة.

www.elromancia.com

تركت كاميلا غريزتها تعمل. وكل ما استرجعته كانت تلك اللحظات في حياتها التي شعرت فيها أنها وحيدة وتعيسة جداً. في أوقات كهذه، لم تكن ترغب سوى بشيء واحد.

ـ هل تريد عناقاً صغيراً؟

لم يجب الصبي في البداية إنما بقي واقفاً يحدق إليها، ثم تمتم: «أجل».

أخذت كاميلا نفساً عميقاً وضمت الصغير بين ذراعيها، فاسترخى على صدرها وتركها تداعبه. ومن فوق رأسه الصغير، التقت عيناها المغرورقتان بالدموع بعيني جونو. وعندما لمحت بريقاً مماثلاً في عينيه، كادت تشهق بالبكاء. حملت الصغير بين ذراعيهاوجلست على كرسي هزّاز في ركن المطبخ. تقوقع بيتر في حضنها، مسنداً رأسه الدافىء على كتفها. أمّا جونو فأخذ يوضّب الطعام الذي لم يمسّه ابنه.

قالت كاميلا للصغير: «يبدو هذا الكنغر متشنجاً. أتظن أنه قد يرغب في أن ندلكه؟».

لم يجب عن سؤالها واكتفى بمراقبتها وهي تمرر يدها برقة على ذنب الدمية.

ـ هذا أفضل. لقد بدأ الكنغر يسترخي الآن، ماذا عنك بيتر؟ أتودّ أن أفعل الشيء نفسه معك؟

أومأ بيتر، فأخذت كاميلا تداعب كتفيه وذراعيه. وبعد برهة، استرخى تماماً بين ذراعيها حتى انزلق الكنغر من يده أخيراً. قال جونو من دون أن يبتسم: «لقد غفا. حضّرت الشاي، أتودين فنجاناً منه؟».

همست قائلة: «شكراً».

كان يومها طويلاً وحافلاً، فاستولى عليها الوهن والإرهاق أشدّ

استيلاء. لم تنتبه تماماً لما كان جونو يفعله في المطبخ في حين أن استرخاء بيتر على صدرها استحوذ على كيانها. عرفت أن ثمة أمور عليها شرحها لجونو وحاولت أن تنظم أفكارها قليلاً. من أين يجب أن تبدأ؟ لكن التفكير أمر مجهد وهي خائرة القوى...

وقف جونو حاملاً كوب الشاي في يده، متأملاً كاميلا التي غفت وهي تحتضن ابنه. حاول أن يبتلع ريقه ولكنه شعر بألم في حنجرته.

ما كان عليها أن تأتي.

تباً! لو أراد امرأة تساعده الليلة بالعناية ببيتر، لطلب ذلك من يبر أو من أمه. فهما خلافاً لكاميلا، تستطيعان البقاء بشكل دائم ويمكنهما أن تؤمّنا الاستقرار للصبي.

كل الأولاد يحتاجون للاستقرار لكن ابنه يحتاجه بشكل خاص.

كل ما استطاعت كاميلا تقديمه هو ذلك العناق المختصر.

انحنى رأسها جانباً وانسدلت خصلات شعرها اللماعة على وجهها، تلك الخصلات التي دفن وجهه فيها ذات يوم.

أبعد جونو عينيه عن ذلك المشهد الرائع الذي شكّلته كاميلا وطفله، وراح يحدّق شارداً من خلال النافذة إلى الأشجار وسماء الليل القاتمة. كان الابتعاد عن كاميلا في مطار باريس أصعب وأسوأ لحظة في حياته.

لكن ما عليه أن يتذكره هو سبب ابتعاده. لقد وعدها بعلاقة خالية من كل قيد ولم يتوقع منها أن تتغير. لذا عاد إلى دياره ليواجه مسؤولياته. وحده.. تباً! كان عليها أن تتركه يقوم بذلك بمفرده. ظهورها في إيدنفايل الآن سيزيد الأمور تعقيداً. لمَ لم تبق في المدينة؟

كانت الشمس قد أشرقت منذ فترة عندما استيقظت كاميلا، وكانت أشعتها تتسرب عبر نافذة الغرفة، فجاهدت لتتذكر أين هي.

www.elromancia.com

لكن عندما زقزقت العصافير في الخارج، تذكرت فجأة كل شيء: السفر... إيدنفايل... بيتر الصغير... جونو...

لكنها لم تذكر أنها أتت إلى السرير. هل جاءت في نومها إلى هنا أم أن جونو حملها إلى السرير؟ لكن من خلع لها حذاءها؟ سرير من هذا؟

نظرت حولها، فلم تجد أي أغراض شخصية وتوقعت أن تكون هذه غرفة الضيوف.

في الواقع، وبعد أن تفحصت الغرفة عن كثب، تذكرت أنها نامت هنا ذات مرة، عندما نامت الهرة عند قدميها وجاءت بيللا لتزورها في الصباح، ودخل جونو بحثاً عنها.

وتذكرت فجأة ما حصل في الليلة السابقة، فأحسّت بموجة باردة تكتسح كيانها للطريقة التي تصرف بها معها في الليلة الفائتة. وإذ تشنجت معدتها، أزاحت الغطاء عنها وجلست بسرعة. عليها أن تجده وتشرح له.

أسرعت إلى المطبخ حيث توقفت فجأة عندما أدركت أن الآثار الوحيدة هي أطباق الفطور الفارغة. أين جونو وبيتر؟ تفقدت أرجاء المنزل بسرعة لكنها لم تجد أحداً، كما نظرت إلى الحظائر عبر النافذة ولم يظهر أي أثر لأي حياة بشرية.

حاولت جاهدة ألاّ تستسلم للهلع وأن تهدىء من روعها فشاحنة جونو لا تزال مركونة في مكانها في ظلال الشجرة. لا بد أن يكون في مكان ما في المزرعة. ولكن أين بيتر؟ إلى أين أخذه جونو؟

هل يختبئان؟

كفى ارتياباً كاميلا! انضجي قليلاً!

في الأمس عندما أخبرت بيبر بخطتها، كانت زوجة أخ جونو واثقة

من أن كاميلا سوف تكسبه إلى جانبها فتمسكت بهذا الأمل في الوقت الحاضر.

استحمت كاميلا وغيرت ملابسها ثم دخلت المطبخ حيث حضرت القهوة وغسلت الأطباق المتسخة.

خرجت عدة مرات لتتفقد جونو وبيتر لكنها لم تجد لهما أثراً. حتى أنها لم ترَ الهرة أو الكلب ساكسون.

عادت مجدداً إلى المطبخ وفتحت الثلاجة. كانت تحتوي على الجبنة والطماطم والحليب والفطر، فقررت أن تحضّر البيتزا. أي شيء قد يلهيها عن التفكير.

كان من المريح أن تعمل في مطبخ إيدنفايل مجدداً. زيارتها الأخيرة إلى هذا المكان كانت قصيرة جداً ومع ذلك بدا لها كل شيء مألوفاً. الطاولة المصنوعة من خشب الصنوبر والآنية الصينية، والرفوف المنحوتة قرب الفرن.

لسوء الحظ أن أعصابها المتوترة أرغمتها على العمل بسرعة فائقة وسرعان ما دخلت البيتزا الفرن وانتهت كاميلا من غسل الأطباق المتسخة. وجلست تنتظر.

ـ أظنني سأتصل ببيبر قبل أن أفقد صوابي.

فلا بد أن تطمئنها بيبر، وهذا ما تحتاجه الآن. قررت أن تستخدم الهاتف في المكتب، ولكن ما إن همّت بالتوجه إلى هناك حتى تناهى إلى مسمعها وقع خطوات.

ـ ساكسون؟

دخل كلب جونو البني اللون إلى المطبخ وهو يهز ذيله.

انحنت كاميلا تداعبه بين أذنيه: «مرحباً أيها الصغير».

www.elromancia.com

فلعق الكلب خدّها سعيداً، ولم تكد كاميلا تصدق الفرحة التي غمرتها لرؤية الكلب: «أين جونو؟».

سمعت صوتاً في الفناء الخارجي فنظرت إلى مصدر الصوت ورأت جونو يترجل عن حصان أسود. خفق قلبها شوقاً، إذ بدا رائعاً.

رسمت ابتسامة صغيرة على شفتيها ونزلت الدرجات الخلفية المؤدية إلى الفناء: «مرحباً».

أومأ لها جونو ثم مدّ ذراعيه وأنزل بيتر عن الحصان بينما أخذت كاميلا تتأمل عضلاته المفتولة، لقد عرفت هذا الرجل عن كثب وعاشت معه لحظات حميمة لكنه الآن بعيد عنها بُعد الجبال الجليدية وقد مزق قلبها تحوله السريع إلى غريب جاف.

إلا أن عيني الصغير كانتا تشعان وخدّيه يتوهجان احمراراً وبدا أسعد ألف مرة مما كان عليه الليلة الفائتة. هتفت: «يبدو أنكما استمتعتما كثيراً».

واتجهت نحوهما.

أجابها جونو وهو يربط رسن الحصان إلى جذع شجرة: «بالفعل، كنت أعرّف بيتر على دياره الجديدة».

ـ يا لها من فكرة رائعة!

ـ نحن الآن جائعان. لا بل نتضور جوعاً. أليس كذلك صغيري؟

ـ فكرتُ بذلك وحضّرت البيتزا.

نظر إليها جونو مستغرباً: «ما كان عليك أن تتكبدي كل هذا العناء».

ـ لم أتكبد أي عناء. لم يكن لدي ما أفعله.

أجابت بذلك شاعرة بالانزعاج. لا يزال جونو متكلفاً في تعاطيه معها. يبدو أنه لا يفهم سبب مجيئها.

أولم يكتشفه بعد؟

نظر إليها بيتر بعينيه الخضراوين: «كاميلا».

أخذت نفساً حاداً: «أجل، هذا اسمي».

ألقت نظرة مستفهمة على جونو فهزّ كتفيه قائلاً:

ـ أراد أن يعرف اسمك. في الواقع سأل عن اسم السيدة الجميلة.

كان وجهه خالياً من أي تعبير عندما أنزل بيتر على الأرض. وتفاجأت كاميلا لرغبة بيتر في دخول المنزل ممسكاً بيد كل منهما. كعائلة حقيقية، كما فكرت كاميلا.

سألت كاميلا بصوت خافت: «لقد ارتاح إليك قليلاً على ما يبدو».

ـ كان سعيداً بما يكفي ليرافقني في جولة على الحصان لكنه راح يسأل عنك بوجه خاص.

تمنت كاميلا لو أنه لا يبدو منزعجاً إلى هذا الحد وهو يقرّ لها بذلك. قالت:

ـ اصطحابه في جولة على صهوة الجواد فكرة رائعة.

ـ إنه الأمر الوحيد الذي نجح معي حتى الآن.

ـ لا عجب في أن يحب ابنك ركوب الخيل، فأنتم رجال عائلة ريفرز وُلدتم وامتطاء الخيل في دمكم، أليس كذلك؟

لمعت ابتسامة في عينيه لكن ما لبث أن ندم على ما يدلّ على ضعفه هذا، فعبس.

عندما وصلوا إلى المنزل سألت بيتر: «ماذا تريد للغداء؟»

ـ الديناميت.

ـ الديناميت؟

نظرت إلى جونو مستفهمة ولكنه بدا حائراً مثلها. قال الصبي: «خبز

www.elromancia.com

الديناميت».

حكّ جونو رأسه: «هذا يفوق معلوماتي».

- ربما يقصد الخبز الافرنجي على شكل أصابع الديناميت.

فتحت الخزانة وأعطت رغيفاً لبيتر: «أهذا ما تريده؟».

- نعم. خبز الديناميت.

ارتسمت على شفتيها ابتسامة انتصار، فرفع جونو حاجبيه من دون أن يبتسم. لكن عبوسه لم يمنعها من الابتهاج لنجاحها في أول امتحان لها في لغة الأطفال.

إلاّ أن معدتها كانت من التشنج بحيث لم تستطع أن تتناول شيئاً من طعامها. تركت جونو يلتهم غداءه وذهبت تحمّم بيتر وتحضر له طعامه.

كان الصبي الصغير منهكاً بعد جولته الطويلة على ظهر الحصان لذا ما إن أنهى طعامه حتى غط في النوم على الشرفة الخلفية المظللة. وتساءلت كاميلا عمّا قد يحصل الآن. هل سيأمرها جونو بالرحيل مجدداً كما فعل الليلة الفائتة؟ شعرت بقلبها يتمزق عندما سمعت وقع خطواته.

- كاميلا.

استدارت لتجده واقفاً خلفها واضعاً إبهاميه في حزام سرواله.

- علينا أن نتكلم.

جفّ فمها فاضطرت لأن تمرر لسانها على شفتيها قبل أن تتمكن من الإجابة: «أجل، أظن أنّ علينا ذلك».

- أعلم أن نواياك كانت حسنة عندما قررت المجيء إلى هنا لكن صدقيني هذا التصرّف ليس حكيماً.

يا للسخرية! كانت واثقة من أن الحضور إلى إيدنفايل من أكثر

القرارات التي اتخذتها في حياتها حكمة وشجاعة وها هو جونو يقول لها العكس.

شعرت كاميلا بعينيها تحرقانها ولكن البكاء لن يساعدها في أن تثبت لهذا الرجل أنها أقوى مما يظن. لذا، رفعت ذقنها وحدّقت إليه بقدر ما تمكنت من شجاعة. لا شك أنها بدت متكبرة ولكن هذا على الأقل أفضل من أن تبدو باكية.

- ماذا تقصد جونو؟ هل تعني أنه لا بأس إن ظهرت أنت على عتبة منزلي من دون سابق إنذار وساعة يحلو لك، في حين أنه ليس من الحكمة أن يفعل هذا شخص آخر معك؟

حدق إليها شزراً: «لقد تغيرت الظروف».

- أجل لقد تغيرت، وأنا أيضاً.

أجفل عند سماع ذلك: «ماذا تقصدين؟».

- لم أعد الفتاة التي كنتها. لقد كبرت.

- ماذا تعنين؟

- إنني أتكلم عن ابنك وعن رغبتي في مساعدتك على العناية به.

بدا جونو وكأن تياراً كهربائياً تملّكه، فتشبثّ بظهر كرسي قريب منه وهز رأسه عاقداً حاجبيه: «لن ينجح الأمر».

- لِمَ لا؟ أنا أود ذلك ويبدو أن بيتر أحبني.

- لقد عانى بيتر بما يكفي في السنتين اللتين عاشهما وهو لا يحتاج لمن يتركه بعد أن يتعلق به.

أشاحت بوجهها لئلا يلاحظ كم جرحها تعليقه: «هذا حقاً محرج! عدت إلى حياتي مرتين، مرة في سيدني ومرة في باريس مقدماً نفسك على طبق من فضة. فظننت أنه من حقي أيضاً أن أعود إلى حياتك وأنظر

www.elromancia.com

في عينيك و... أنت تعلم».

سمعته يتقدم خطوة نحوها: «لا بد أنني بطيء الفهم لذا قولي لي كاميلا، ما الذي يجدر بي أن أعرفه؟».

أخذت نفساً عميقاً آخر ونظرت إليه من فوق كتفها. يا إلهي! هذا مربع فجونو يبدو خائفاً بقدرها هي:

- إنني أحاول أن أقول لك إنني لم أعد أريد تلك العلاقة المجرّدة من روابط الزواج... والأولاد.

لم يتكلم. بقي واقفاً هناك يراقبها بعينين شرستين، فخفق قلبها ذعراً ثم شعرت به يكاد يتوقف. إذا لم تستطع إقناع جونو، فستخسر كل شيء.

استجمعت آخر ما تبقى لها من شجاعة واستدارت نحوه لتواجه ذلك الوجه المخيف:

- اسمع جونو، لقد وصلت إلى نقطة اللاعودة ولا أستطيع الرجوع. لقد وقعت في حبك. إنني فعلاً مغرمة بك وأريد أن أساعدك في العناية ببيتر وأريد أن أبقى معكما إلى الأبد. وأنا...

وانفجرت فجأة بالبكاء ولم تستطع مواصلة الكلام ولا رؤية جونو من خلف ستار دموعها. ولكن هذا لم يعد مهماً لأنه دنا منها واحتضنها ثم همس برقة: «كاميلا، لا تبكي حبيبتي».

- ولكنك لم تعد تريدني.

- بلى، بلى طبعاً أريدك ولطالما أردتك والآن أكثر من أي وقت مضى.

كان من الجميل أن تضيع بين ذراعيه مجدداً فطوّقت عنقه بذراعيها بكل ما تشعر به من حب.

أضاف جونو: «المشكلة أنني لم أكن أعرف شعورك نحوي. فقد كنت مصممة على البقاء حرة».

- كنت أخدع نفسي.

- كنتِ خائفة.

همست على كتفه المريحة: «أجل. كنت جبانة».

- لا حبيبتي أنت لست جبانة، كل ما في الأمر أن تعاسة والديك أخافتك قليلاً.

رفعت وجهها الملطّخ بالدموع لتنظر إليه: «لكنني تعلمت أموراً كثيرة من والديّ، جونو. كنت قلقة بسبب اختلافاتنا وقلّة القواسم المشتركة بيننا، ثم أدركت أن قواسم مشتركة جمعت أمي وأبي. كحبهما للرقص، وشراكتهما وسفرهما معاً... ولا شيء من هذا أنقذ زواجهما. وهما لا يزالان تعيسين لأنهما لم يتحليا بالشجاعة الكافية للاعتراف بأخطائهما. ولهذا السبب أعترف لك بأنني كنت مخطئة. مخطئة جداً. أريد الارتباط... أظنني حقاً قادرة على أن أتعلم التعامل مع الأولاد».

كان يبتسم لها بعذوبة بالغة وهو يقول: «كنت ماهرة مع بيتر».

- من السهل حبه، وأنا واثقة من أنني أعشقه منذ الآن.

- إنه ظريف، أليس كذلك؟

- إنه رائع.

وبعد لحظة أضافت: «وأريد أيضاً أن أربي الماشية».

تراجع جونو عنها متفاجئاً: «أحقاً؟»

نظرت إليه بابتسامة خجولة:

- أريد أن أشتري المزيد من العجول، وهذه المرة أريد البقاء هنا

www.elromancia.com

لأراقب نموّها خطوة بخطوة.

هزّ رأسه بتسلية واضحة وسألها: «وماذا عن عملك في «حديث المرأة»؟».

ـ لقد قدّمت استقالتي.

ـ كاميلا!

ـ في الواقع لم أستقل تماماً. اتفقت معهم على أن أعمل من هنا وأرسل لهم مقالاتي.

ـ ودبّرت كل هذا من دون علمي؟

بدا أنه لا يمانع إطلاقاً.

ـ أجل. اتصلت بإديث من باريس.

ـ ووافقت؟

هزت كاميلا كتفيها: «لم أمنحها خياراً آخر».

أنزلت يديها عن عنقه وأمسكت بيده، محدقة مباشرة إلى عينيه: «ولكنني أمنحك خيارات عدة، جونو. أنا من يقدم لك عرضاً هذه المرة: يمكننا أن نختار الطريقة التي تريدها».

لمعت عيناه وهو يسألها: «الطريقة التي أريدها؟».

ـ طالما أستطيع البقاء هنا معك ومع بيتر وطالما أن ذلك للأبد.

أخذ نفساً طويلاً، وكاد قلبها يتوقف.

ـ ماذا لو سألتك أن تتزوجيني؟

آه يا إلهي! بدأت ركبتاها تصطكان وهي تجيبه: «أظنني أميل إلى الموافقة...».

ـ تظنين أنك تميلين...؟

ـ لمَ لا تسألني وتعرف؟

ـ كاميلا، قد يبدو هذا ضرباً من الجنون ولكن هل يمكنك أن تنتظري قليلاً؟

ـ أظن ذلك.

ومن دون أن يضيف كلمة واحدة، خرج مسرعاً من المطبخ في حين ضغطت كاميلا على وجنتيها المشتعلتين محاولة تهدئة نفسها. لم يكن هذا إشارة سيئة. صحيح أن الرجل الذي تحبه بجنون كان على وشك اقتراح الزواج عليها ثم اختفى في اللحظة الحاسمة، ولكن هذه ليست بمأساة.

اهدأي كاميلا! شهيق، زفير...

الحمد لله أنه لم يتأخر كثيراً! عاد حاملاً علبة صغيرة حمراء مربوطة بشريط أبيض حريري.

ـ أخذتُ هذا إلى باريس، وبصراحة أردت أن أطلب يدك هناك.

ألقى نظرة على أرجاء المطبخ وعلى الأطباق المتسخة على الطاولة ثم أضاف:

ـ أعلم أن هذا المطبخ القديم ليس برج إيفل أو ضفاف السين.

ـ لا بأس جونو، لا بأس.

وضع العلبة في يدها المرتجفة قائلاً: «لا يمكنك أن تتصوري كم أحبك. أحبك أكثر من أي شيء آخر على الأرض. لهذا السبب لم أشأ أن أسألك التخلي عن سيدني أو عن عملك واستقلاليتك».

ـ كفّ عن القلق. لم أكن أعلم أن الحب قد يغيرني إلى هذه الدرجة. وأنا لا أرغب بأي شيء في العالم بقدر ما أرغب فيك، جونو. ولا أتخيل الحياة من دونك.

ابتسم لها ثم سألها بنفاد صبر: «هل ستفتحين العلبة؟».

www.elromancia.com

القديم. فكاميلا بدت متألقة تخطف الأنفاس بثوب أحلامها الحريري. وزميلتنا جين رائعة الجمال بدورها كإشبينة.

تبادل جونو وكاميلا العهود التي كتباها بنفسيهما. أمّا أرجاء الكنيسة فملأها الموسيقي وليام تودمارا بعزفه الساحر.

وما زاد من سعادة كاميلا هو أن بعد سنوات من الافتراق، حضر والدها من باريس ووالدتها من طوكيو، وغادر الوالدان بعد الزفاف يداً بيد.

إذا كنت عزيزتي القارئة تتأسفين لإفلات جونو ريفرز من يدك، فثمة خبر مفرح للأجيال القادمة. ابن جونو الصغير، بيتر سوف يسلب عقول الفتيات حتماً.

أمّا إذا كنت لا تستطيعين الانتظار عشرين عاماً ريثما يكبر، فقد تعقبنا من أجلك بعضاً من أصحاب جونو الوسيمين ممن حضروا الزفاف. لذا لا تفقدي الأمل.

إلى اللقاء في العدد القادم».

إديث كينغ
رئيسة التحرير

www.elromancia.com